

التهجير جنایة العصر

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازى (قدس سره)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، ولـلـلعنة الدائمة على أعدائهم أجمعـين إلى قيام يوم الدين.

جريمة التهجير

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ((فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَفَتَلُوا لَا كَفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثُوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)) ^١ .

لتوضيح الآية المباركة نقول: ((فَالَّذِينَ هَاجَرُوا)) إلى المدينة ((وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ)) أخرجـهم المشركون من مكـة، والـآية عـامة لكلـ مـهاجرـ من دـيارـهـ، ومـخرجـ من بلـادـهـ ((وَأَوْدُوا فـي سـبـيلـي)) لأنـهم آمنـوا وأطـاعـوا ((وَقـاتـلـوا)) لأـجلـ اللهـ سبحانهـ ((وَفـتـلـوا)) قـاتـلـهمـ الكـفارـ ((لـا كـفـرـنـ)) أيـ: أـمحـونـ ((عـنـهـمـ سـيـئـاتـهـمـ)) فـلاـ آخـذـهـمـ بـهـاـ ((وـلـا دـخـلـهـمـ جـنـاتـ تـجـرـي مـنـ تـحـتـهـاـ الـأـنـهـارـ)) أيـ: تـحـتـ خـيـلـهـ وـقـصـورـهـاـ ((ثـوـابـاـ)) أيـ: جـزـاءـ لـهـمـ ((مـنـ عـنـدـ اللـهـ)) عـلـىـ أـعـمـالـهـ وـمـشـاقـهـمـ فـيـ سـبـيلـهـ ((وـالـلـهـ عـنـدـ حـسـنـ الثـوـابـ)) أيـ: الـجـزـاءـ الـحـسـنـ، لـيـسـ غـيـرـهـ مـنـ لـايـقـدرـ ولاـ يـلـمـكـ الثـوابـ الـحـسـنـ.

إـذـاـ تـأـمـلـ إـلـاـنسـانـ كـيـفـ يـكـونـ الـكـفـارـ فـيـ هـذـهـ النـعـمـةـ وـالـرـاحـةـ وـالـسـيـاحـةـ وـالـأـسـفـارـ، وـالـمـسـلـمـونـ مـضـطـهـدـونـ يـخـرـجـونـ مـنـ بـلـادـهـ وـيـوـذـونـ، مـعـ أـنـ اللـهـ سـبـانـهـ نـاصـرـهـ وـظـهـيرـهـ؟!

فيـأـتـيـ الـجـوـابـ فـيـ الـآـيـةـ الـلـاحـقـةـ ((لـا يـعـرـكـ)) وـأـصـلـ الغـورـ إـيـهـامـ حـالـ السـرـورـ فـيـماـ الـأـمـرـ بـخـلـافـهـ، فـالـمـعـنـىـ: لـاـ يـوـهـنـتـكـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ، أـنـ الـكـفـارـ فـيـ سـرـورـ ((تـقـلـبـ الـذـيـنـ كـفـرـواـ فـيـ الـبـلـادـ)) فـإـنـ تـقـلـبـهـمـ لـاـ يـعـودـ إـلـيـهـمـ بـالـنـفـعـ؛ فـإـنـ ذـكـ ((مـنـائـ قـلـيلـ)) أيـ: يـتـمـتـعـونـ بـذـكـ فـيـ زـمانـ قـلـيلـ ((ثـمـ مـأـوـاـهـمـ)) مـصـيرـهـمـ ((جـهـنـمـ وـبـنـسـ الـمـهـادـ)) أيـ: سـاءـ الـمـسـتـقـرـ لـهـمـ^٢.

إـنـ قـضـيـةـ تـهـجـيرـ مـنـاتـ الـأـلـافـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ أـبـنـاءـ الـشـعـبـ الـعـرـاقـيـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ الـمـهـمـةـ عـلـىـ الصـعـيدـ إـلـاسـلامـيـ عـامـةـ، وـعـلـىـ الصـعـيدـ الـعـرـاقـيـ بـشـكـ خـاصـ، فـقـضـيـةـ تـهـجـيرـ عـشـرـاتـ الـأـلـوفـ مـنـ أـبـنـاءـ الـشـعـبـ الـعـرـاقـيـ

^١- سورة آل عمران: ١٩٥.

^٢- تفسير تقریب القرآن: ج ٤ ص ٨٨ سورة آل عمران.

المظلوم إلى إيران، وبأبشع الطرق التي تناهى الضمير الإنساني، فقد هجروا وشردوا من ديارهم وسلبت أموالهم، بعد أن مورس بحقهم شتى أنواع التعذيب النفسي والجسدي بما في ذلك التفريق بين العائلة الواحدة، حيث فرقوا بين الزوج وزوجته، والطفل وأبويه، وسفروا قسماً من العائلة، وتركوا القسم الآخر رهنا للاعتقال في سجون نظام البعث المظلمة، ومارسوا بحق المهجّرين وأقاربهم، ومن يمت لهم بصلة قربي أوواناً أخرى من التعذيب الجسدي، كالضرب والإهانات والشتائم والاعتداء على الأموال والأعراض والأنفس، منتهكين بذلك جميع القوانين والأعراف الإسلامية والدولية، حتى قال بعض المحققين: إنهم - أي طغاة العراق - فاقوا جميع السفاحين وحشية على مدى التاريخ قديماً وحديثاً، أمثل:

بني أمية..

وبني العباس..

وهولاكو^(١)..

وجنكيز خان^(٢)..

وهتلر^(٣)..

ومن أشباه.

فقد جمع أزلام هذا النظام جميع الصفات الإجرامية والأساليب الأخلاقية المتمثلة بالسفاحين، وحينما صهر المجرمون في بوتقة واحدة تولد عن هذا الخليط أبشع وأرذل وأخبث نظام عرفه العالم ألا وهو نظام عصابة البعث العراقي الحاكمة.

وفي هذا الكتاب نحاول أن نحيط ببعض المواضيع المتعلقة بهذا الحدث المهم، وسنحاول أيضاً أن نوضح طبيعة النظام الحاكم في العراق، الذي مارس هذه العملية بحق الأبراء المؤمنين من إخواننا في العراق الجريح، ونبين الأساليب التي استخدمها هذا النظام، والظروف التي استغلتها. كذلك نناشد الروح الإسلامية المغروسة في الصمائر والنفوس الحية في أبناء الإسلام، وأصحاب الصمائر

^١- هولاكو (تحو ١٢١٧-١٢٥١م) مغولي مؤسس دولة المغول الإلخانية في إيران سنة (١٢٥١م) حفيد جنكيز خان، أخضع أمراء الفرس والإسماعيلية في قلعة (الموت) (١٢٥٦م) لحكمه، قضى على الخلافة العباسية في بغداد (١٢٥٨م) واحتل سوريا، هاجم الملوك جيشه في عين جلوت وأبادوه (١٢٦٠م)، عرف عنه وعن جيشه البطش والفتوك الشديد بمن يقف في طريق إقامة دولتهم.

^٢- جنكيز خان (١١٦٧-١٢٢٧) اسمه تيوجين بن يشوكي، مؤسس الإمبراطورية المغولية، أخضع جميع الدول بين الصين والبحر الأسود، اشتهر من سلالته (باتوخان) و (هولاكو) و (تيمور لنك).

^٣- أدولف هتلر (١٩٤٥-١٨٨٩م) سياسي ألماني ولد في النمسا، دخل الحزب العمالي الألماني (١٩١٩م) وأصبح زعيمه، وسماه الحزب الوطني الاشتراكي أى النازي (١٩٢١م) حاول القيام بعصيان مسلح في ميونيخ عام (١٩٢٣م) ففشل وسجن، وفي السجن وضع كتابه (كفاحي) عرض فيه مذهب العنصري العرقي، الذي صار شعار النازية، أصبح مستشاراً عام (١٩٣٣م) ثم رئيس الدولة المطلق (١٩٣٤م)، أقام نظاماً دكتاتوريًا بوليسياً احتل فيه البوليس السوري مركز القيادة الإرهابية، أدت به سياساته التوسعية إلى احتلال رينانيا (١٩٣٦م) والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا، أشعل الحرب العالمية الثانية عام (١٩٣٩م) ثم هزم من قبل قوات الحلفاء وانتحر هو وزوجته في برلين عام (١٩٤٥م).

الحياة لأحرار العالم للوقوف بوجه هذا النظام والإطاحة به، ومن الله التوفيق^(١).

التركيبة السكانية

بداية نحاول أن نبين التركيبة السكانية للشعب العراقي - بشكل موجز - وبعد ذلك نسلط الضوء على الفئة المستهدفة من عملية التهجير الإنساني من قبل النظام العراقي!

يتتألف الشعب العراقي من مجموعة من القوميات كالعرب، والأكراد، والتركمان، وبعض الأقليات الأخرى، والغالبية العظمى من الشعب هم من العرب، وهذه الغالبية أيضاً منقسمة إلى قسمين: عرب عراقيين بالأصل، وعرب سكنا العراق هم وأباؤهم وأجدادهم وهؤلاء كانوا يُسمون قديماً (بالمواли) وربما كانوا من أصل فارسي أو تركي أو ما أشبه، وقد عاشوا في العراق وولدوا في العراق، وتجلسوا بالجنسية العراقية، وبعضهم لم يمنحوا (شهادة الجنسية العراقية) بالمصطلح الحديث أو أنهم لم يتقدموا بطلبها، وبعضهم كتب في صحيفة أحواله المدنية اسم (تباعي). والظاهر أن المسألة هي ذاتها قديماً وحديثاً - من حيث التفرقة بين هذا عربي وغير عربي - ، إذ لم يتغير من الأمر شيئاً إلا لفظة (المواли) التي كانت السائدة في عصر بنى أمية فتحولت إلى التبعية^(٢)، واستغل نظام الحكم في العراق هذه اللفظة - أي التبعية - والتي تتنافى مع الروح والتعاليم الإسلامية

^١- أصدر الإمام الراحل بيانات عدة حول جريمة التهجير، منها ما هو موجه إلى جمعيات حقوق الإنسان، ومنها ما هو موجه إلى المهجرين، حيث يوصيهم بالصبر والعمل الجاد في سبيل الله عزوجل؛ انظر كتاب مجموعة بيانات آية الله العظمى الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازى إلى الشعب العراقي المسلم، طبع وتوزيع علماء الدين المجاهدون في العراق.

^٢- في ظل النظام الحاكم في العراق أصبحت لفظة (التباعية) أو (التباعي) تهمة عظيمة وسبة كبيرة، يرتكب منها ويحاول أن يبتعد عنها أي عراقي، حتى وصل الحال إلى أن يُجرِّز الزوج على تطليق زوجته، لأنها من أصول غير عربية - تبعية - والزوجة تنفصل عن زوجها لأنها من أصول غير عربية، بل كان الموظف في دوائر الدولة يطرد من وظيفته إذا لم يبادر إلى تطليق زوجته - التبعية - وكذلك الموظفات، كما أن النظام استغل بعض ضعاف النفوس من التبعية فعملوا لدى دوائر أمن النظام بصفة عملاء وجواسيس؛ لإثبات الولاء الأعمى واللامحدود للنظام العلفقي حتى لو أدى بهم ذلك إلى الوشاية بأقربائهم.

هذا وقد أصدر ما يسمى مجلس قيادة الثورة قراراً ظاهراً ترغيب الزوج بتطليق زوجته إذا كانت من التبعية الإيرانية، وباطنه وهو الواقع - الإجبار على ذلك، والشواهد من الواقع الملموس كثيرة، وفيما يلى نص القرار:

(القرار المرقم ٤٧٤ في ١٥/٤/١٩٨١).

استناداً إلى أحكام الفقرة (١) من المادة الثانية والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٥ / ٤ / ١٩٨١ ما يلى:

يصرف للزوج العراقي المتزوج من امرأة من التبعية الإيرانية مبلغ قدره أربعة آلاف دينار إذا كان عسكرياً، وألفان وخمسمائة ديناراً إذا كان مدنياً في حالة طلاق زوجته أو في حالة تسفيرها إلى خارج القطر.

٢ يشترط في منح المبلغ المشار إليه في الفقرة (١) من هذا القرار ثبوت حالة الطلاق أو التسفير بتاييد من الجهات الرسمية المختصة وإجراء عقد زواج جديد من عراقية.

^٣ يتولى الوزراء المختصون تنفيذ هذا القرار.

التوقيع

التي أمرنا باتباعها؛ لأن المسلمين كلهم سواسية ولا فرق بينهم وهم أبناء الإسلام، وأخوة في الدين، ووطنهم الواحد بلاد الإسلام أينما امتدت فلا يجوز شرعاً إخراج وتهجير وتسفير أحد لمجرد أنه من أصل آخر.

فقد قال تبارك وتعالى: ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أَمْتَكُ أَمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) (١).

وقال عز من قائل: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأْنَاكُمْ شَعْوَباً وَقَبَائِلَ لِتَعْلَمُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ)) (٢).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لما كان يوم فتح مكة قام رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ليبلغ الشاهد الغائب أن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائهما وعشائرها. أيها الناس، إنكم من آدم وآدم من طين، ألا وإن خيركم عند الله وأكرمكم عليه أتقاكم وأطوعكم له، ألا وإن العربية ليست بباب والد ولكنها لسان ناطق، فمن طعن بينكم وعلم أنه يبلغه رضوان الله حسبه، ألا وإن كل دم مظلمة أو إهنة كانت في الجاهلية فهي تظل تحت قدمي إلى يوم القيمة» (٣).

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «أصل المرء دينه، وحسبه خلقه، وكرمه تقواه، وإن الناس من آدم شرع سواء» (٤).

وروي: أن سلمان الفارسي دخل مسجد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ذات يوم، فعظموه وقدموه وصدروه؛ إجلالاً لحقه، وإعظاماً لشبيته، واحتياجه بالمصطفى وآلله (صلوات الله عليهم) فدخل عمر فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتتصدر فيما بين العرب؟

فচعد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المنبر، فخطب فقال:

«إن الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحرم على الأسود إلا بالتقوى..» (٥).

فأمثال هذه الحواجز والتمييزات اللاحقة لا يقرها الدين الحنيف، بل المائز هو الإيمان والتقوى أمام

صادم حسين / رئيس مجلس قيادة الثورة

وصدر قرار آخر تأكيداً لتنفيذ القرار السابق، وتوضيحاً لبعض من يلتبس عليه الأمر، وهو فيما يلي:
كتاب مجلس قيادة الثورة - مكتب أمانة السر - السري والشخصي في ١٩٨١/١٢/٣١ :

نشير إلى قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٧٤ في ١٩٨١/٤/١٥ نقرر ما يلي:

يصرف المبلغ المشار إليه في القرار أعلاه للمتزوج من إيرانية قبل نفاذ القرار المذكور من يبادر إلى طلاق زوجته وعدم العودة لمطلقته، ولا يصرف المبلغ في حالة الزواج من إيرانية بعد نفاذه ولو بادر بطلاقها بعد ذلك.
عند إيقاع الطلاق تقوم وزارة العدل باشعار وزارة الداخلية لنقوم الأخيرة من جانبها بتسفير المطلقة المذكورة إلى خارج القطر .
لاحظ الفرق بين النص السابق وبين هذه الفقرة .-

يلزم الشخص الذي استفاد من قرار مجلس قيادة الثورة أعلاه بعدم الزواج ثانية من إيرانية، وفي حالة زواجه يسترد منه كافة المبلغ.

١- سورة الأنبياء: ٩٢.

٢- سورة الحجرات: ١٣.

٣- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٨٨ ب ٧٥ ح ١٣٥٩٦.

٤- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٨٨ ب ٧٥ ح ١٢٥٩٧.

٥- بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٤٨ ب ١٠ ح ٤٦.

الكفر.

نعود ونقول: إن نظام الحكم في العراق استغل لفظة (التبعية) واتهم العديد من العراقيين بذلك للقيام بعمليات التهجير الواسعة؛ وذلك لتغيير البنية السكانية والمذهبية للشعب العراقي، ولخلق نوع من الإرهاب والظلم الجماعي، بتشتيت وتفرق العوائل الملتزمة بالإسلام، بإلصاق التهم والافتراءات الكاذبة عليهم والبعيدة عن الواقع؛ ليجد التبريرات الواهية التي تمكّنها من سلب أموالهم وتعذيبهم، ومن ثم تهجيرهم بكل قسوة ووحشية.

وتجسدت - في واحدة من أشدّها - هذه العمليات الإجرامية، حينما جمع تجار ووجهاء السوق الكبير في بغداد (الشورجة) وسفرهم إلى خارج العراق، مستولياً على أموالهم وممتلكاتهم، زاعماً أنّهم غير عراقيين، وهكذا عملوا في جميع محافظات العراق وخصوصاً كربلاء المقدسة والنجف الأشرف والكاظمية المشرفة والكوت، وبباقي المناطق التي يتواجد فيها الشيعة... ^(١).

سيرة الحزب الحاكم في العراق

إن أي شخص يريد أن يتناول سيرة نظام حزب البعث الحاكم في العراق سيعجز عن الوصف الكامل والدقيق لهذا النظام، ولا أعني بذلك وصف هيكله العام، أو الأفراد المنتمين إليه، أو الجهة التي ساعدت في نشأته، فكل ذلك سهل يسير على الباحث، ولكن الشيء العسير هو الإحاطة الكاملة بالأعمال الإجرامية التي مارسها أفراد هذا الحزب بحق أبناء الشعب العراقي المسلم، من التعذيب وقتل النفس التي حرمتها الله، وهتك الأعراض، وسلب الأموال والممتلكات، وكذلك قيامه بعمليات التهجير الواسعة ضدّ أبناء شعبنا المظلوم، وما إلى ذلك من الأساليب التي يعجز القلم عن كتابتها، واللسان عن سردها.

ولم يتوقف هذا النظام عن ظلم الشعب العراقي بجميع فناته عرباً وأكراداً، شيعة وسنة، بل حتى الأقليات الصغيرة لم تسلم من حقده وظلمه وجوره، وكذلك تعدى في ظلمه حدود العراق والشعب العراقي فعم ظلمه الشعوب الأخرى، فحربه التي شنها على إيران أحد دوافعها الرئيسية هو حقده على الإنسانية بصورة عامة وعلى الشعبين المسلمين العراقي والإيراني بصورة خاصة.

^(١) - بدأ صدام جريمته تلك بالمكر والخداع، التي تدل على انحطاطه الخلقي ودمويته، فبوقت واحد من شهر نيسان عام (١٩٨٠) وباتفاق سري مسبق، ووفق خطة أعدت بمحاكم، قامت غرف التجارة في محافظات العراق بتوجيه دعوة رسمية تم بها استدعاء كبار تجار الشيعة لاجتماع عاجل، بحجة التباحث في بنود قانون تجاري جديد تزمع الحكومة إصداره، والتداول والتشاور في الأمور الاقتصادية بهدف حل أزمة المواد المعيشية التي استعانت على الدولة، وبعد أن وصل التجار إلى أمكنة الاجتماعات المزعومة، تم اعتقالهم فوراً والاستيلاء على سياراتهم التي قدموا بها، وسيقوا جماعات جماعات، وتحت حراسة مشددة إلى الحدود، فرموا بال汨اء وأمرروا بالسير نحو الأرضي الإيرانية، بعدما أبلغوهم بأنّهم غير مرغوب بهم في البلد لأنّهم عجم، ويجب أن يعودوا إلى بلادهم، وأنزروهم بأن أي شخص يحاول العودة إلى الوطن، أو يتربّد في الحركة إلى إيران فإن النار ستطلق عليه بدون إنذار!. وهذا كلّه لأنّه لا شيء سوى أنّهم يتولون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت(عليهم السلام) أي: لأنّهم من الشيعة.

ذلك دخوله في مؤامرات سرية و - بعض الأحيان - علنية مع القوى الكبرى المعادية للإسلام، لضرب الشعب العراقي المسلم، وضرب نهضته الإسلامية المتقدة.

ومن هذه المؤامرات السرية تعاونه بصورة سرية مع الكيان الصهيوني لضرب الإسلام والمسلمين، ومن مؤامراته العلنية تحالفه مع نظام الشاه لضرب الأكراد في شمال العراق (١) - على سبيل المثال لا الحصر، ودخل في تحالفات مشبوهة كثيرة لا يسع المجال لذكرها هنا (٢).

١- في الخامس من أيلول عام (١٩٧٥م) وقعت الحكومة العراقية مع شاه إيران الاتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر، وقد وقعتها عن العراق صدام التكريتي الذي كان نائباً لرئيس الجمهورية، وتفضي هذه الاتفاقية بأن يوافق العراق على المطالب الإقليمية للشاه في المياه والأراضي العراقية على الأخص الملاحة في سطح العرب، في مقابل وقف الشاه مساندته للأكراد في ثورتهم على النظام الحاكم، بل ومحاصرتهم وتقديم المعلومات عنهم للنظام الحاكم مما سبب أشد انتكasaة مرت بها الحركة الكردية، فشرد وقتل عشرات الآلاف من الأكراد الآمنين.

٢- الحزب الحاكم في العراق منذ (١٧ / تموز / ١٩٨٦م) هو حزب البعث - الحزب الوحيد الحاكم - وهو حزب قومي علماني يدعى إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة). وأهدافه: (الوحدة، والحرية، والاشتراكية) !!

ففي سنة (١٩٣٢م) عاد من باريس قادماً إلى دمشق كل من ميشيل عفلق وهو نصراني ينتمي إلى الكنيسة الشرقية، وصلاح الدين البيطار، وذلك بعد الدراسة العالمية في فرنسا على يد كبار المستشرقين، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين لويس ماسنيون الذي قال عن عفلق: هو أخلص تلميذ تلمذ على يدي. فعلاً - عفلق والبيطار - محملين بأفكار قومية وثقافة غربية، فعملوا في مجال التدريس، ومن خلاله أخذَا ينشران أفكارهما بين الزملاء والطلاب والشباب. وأصدر تجمع أبناء عفلق والبيطار مجلة الطالعة بالاشتراك مع الماركسيين سنة (١٩٣٤م) وكانتا يطلقون على أنفسهم اسم (جامعة الإحياء العربي). وفي نيسان (١٩٤٧م) تم تأسيس حزب تحت اسم (حزب البعث العربي)، وكان من المؤسسين: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي، كما أصدروا مجلة باسم البعث.

وفي سنة (١٩٥٣م) اندمج كل من حزب (البعث العربي) وحزن (العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياً (حزب البعث العربي الاشتراكي).

استولى أحد أجنحة الحزب المنشق على السلطة في العراق بعد أحداث دامية سارت على النحو التالي:

في الرابع عشر من شهر تموز عام (١٩٥٨م) حدث انقلاب على النظام الملكي بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، فقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الله ومن عشر عليه من أفراد العائلة المالكة، وتوري السعيد وأعوانه، فأسقط النظام الملكي، وبذلك انتهت الملوكية في العراق، ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

وبعد عشرة أيام من نشوب الثورة وصل ميشيل عفلق إلى بغداد وحاول إقناع أركان النظام الجديد بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) ولكن الحزب الشيوعي العراقي أحبط مسامعه ونادى بعد الكريم قاسم زعيماً واحداً للعراق. وفي اليوم الثامن من شهر شباط لعام (١٩٦٣م) قام حزب البعث بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم، وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرساً وأحداثاً دموية رهيبة في بغداد وأغلب مدن العراق، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين الجناح المعتدل والجناح المتطرف من حزب البعث في العراق فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في (١٨ / تشرين الثاني / ١٩٦٣م) وعين عبد السلام عارف أحمد حسن البكر أحد الضباط البعثيين نائباً لرئيس الجمهورية، وأوصى ميشيل عفلق بتعيين صدام حسين عضواً في القيادة القطرية لفرع حزب العراق. وبعد مقتل عبد السلام عارف في حادث الطائرة المدبر في عام (١٩٦٦م) استلم أخيه عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية في العراق الذي اتسم حكمه بالتدحرج الاقتصادي والمعاشي وبالتالي الطائفية والعنصرية والقبلية، وكان يتآثر بالمحظوظين به ويثق بهم، ويتبني عادة رأي آخر من يقابلهم.

نحي عن السلطة بعدهما أوعزت المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود وأحمد حسن البكر بتغيير السلطة في العراق، حيث نفي إلى تركيا.

وفي (١٧ / تموز ١٩٦٨) قام حزب البعث العراقي بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب أسقط نظام عبد الرحمن عارف، وفي اليوم الثالثين من الشهر نفسه طرد حزب البعث كافة من تعاونوا معه في انقلابه، وعين أحمد حسن البكر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للجيش، وأصبح صدام التكريتي نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، ومسؤولًا عن الأمان الداخلي. وتمت تصفيات عديدة في صفوف قادة الحزب كان بطلها ومخططها صدام التكريتي، ففي سنة (١٩٧٠) تم اغتيال الفريق حربان التكريتي في الكويت، الذي كان من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي وعضوًا في مجلس قيادة الثورة، وتلتها لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للدفاع. وفي عام (١٩٧١) تم اغتيال فؤاد الركابي، وكان المنظر الأول للحزب، وأحد أبرز قادته في العراق وقد تم اغتياله داخل السجن. وفي عام (١٩٧٣) جرى إعدام ناظم كزار رئيس جهاز الأمن الداخلي وخمسة وثلاثين شخصاً من أنصاره، وذلك في أعقاب فشل انقلاب قاموا به. وفي عام (١٩٧٥) وقعت الحكومة العراقية مع شاه إيران اتفاقية المعروفة باتفاقية الجزائر. وفي عام (١٩٧٩) أصبح صدام التكريتي رئيساً للجمهورية العراقية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله، ثم قتله صدام بحقنة ترفع نسبة السكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش، وتلك عام (١٩٨٢). وفي العام نفسه - قام صدام بحملة إعدامات واسعة طالت أكثر من ثلث أعضاء مجلس قيادة الثورة وأكثر من خمسين عضو من أبرز أعضاء حزب البعث العراقي. وفي العام نفسه أقدم صدام على إعدام كل من: غانم عبد الجليل وزير التعليم، ومحمد محبوب وزير التربية، ومحمد عايش وزير الصناعة، وصديقه الحمي عدنان الحمداني، والدكتور ناصر الحاني، ثم قتل مرتضى سعيد الباقى تحت التعذيب، وقد سبق لكل من الآخرين أن شغلوا منصب وزير الخارجية، وقد بلغ عدد من أعدمهم صدام خلال أقل من شهر واحد ستة وخمسين شخصاً من كبار أعضاء حزبه، ولم يبق على قيد الحياة من الذين شاركوا في انقلاب عام (١٩٦٨) سوى عزت الدوري وطه الجزاوى وطارق حنا - أو يوحنا - عزيز.

وفي يوم (٢٢ / أيلول / ١٩٨٠) شن صدام حربه على إيران بعد إلغائه اتفاقية الجزائر - التي وقعتها مع الشاه - التي أسفرت عن سقوط ما يزيد على النصف مليون من شباب العراق وأكثر من سبعين ألف من المعاقين والمتشوهين، هذا غير جيش الأرامل والأيتام والمعاقين الذين خلفتهم الحرب، وغير من أدمموا بسبب رفضهم المشاركة بهذه الحرب الغبية - كما سماها أحد المحللين السياسيين - إضافة إلى نفقات الحرب التي تجاوزت مائتي ألف مليون من الدولارات، وكذلك تجميد كل تنمية طوال مدة زمنية تجاوزت الثمانى سنوات، بعد ذلك خرج صدام بعد كل هذه التضحيات ليعلن للعالم أن حربه مع إيران كانت خطأ، وأن الحق كل الحق في العودة إلى الاتفاقية المبرمة بينهما - اتفاقية الجزائر -.

وفي أثناء حربه مع إيران أتزل بالمواطنين الأكراد أبغض أنواع القتل والبطش والتكميل والإبادة باستخدام الغازات السامة والكيماوية وقتل النبات المحرقة بصورة همجية لم تعرف حرمة لشرع ولا الدين ولا لمروءة ولا لشرف. وقد ذاق الشعب العراقي الأمريكان على يد هذا النظام وجلاوزته عقب الهزيمة المenkرة في حرب الخليج الثاني، عندما قام النظام باجتياح دولة الكويت واستباح أرضها وطرد شعبها وخراب منشاتها ونهب متاجرها وقتل أبنائها وفجر آبار النفط فيها، فقدت الولايات المتحدة تحالفًا آخر الجيش العراقي وتم طرده من الكويت، الأمر الذي أتزل به هزيمة كاسحة راح ضحيتها مئات الآلاف من جنود الجيش العراقي، وجعله يستسلم في ذلة وخنوع ويوافق على كل شروط قوات الحلفاء، بعد أن دك الطيران كافة المنشآت والمرافق في العراق وتركها خراباً في معركة غير متكافئة أطلق عليها اسم (عاصفة الصحراء) ورجعت الحكومة الكويتية من منفاهما ومارست سلطاتها. وثار الشعب العراقي في انتفاضة كبيرة عرفت بالانتفاضة الشعبانية، حيث حررت خمسة عشر مدينة من مدن العراق الثمانية عشر، وبعد مساندة من أسياده المستعمرين ومؤمرات بعض دول الجوار وانقطاع الإمدادات عن الثوار بدأت الكفة تميل لصالح قوات النظام فقام بالبطش الشديد بالشعب المغلوب على أمره، وأمر هذا الطاغية جنده أن يدكوا بمدافعهم مدنًا بأكملها على رؤوس من فيها من النساء والأطفال والشيوخ والرجال، وانتهكوا حرمة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف.

فقام هذا الطاغية بقمع الانتفاضة الشعبانية، ونقل بالثوار أشد تكيل، فقد قدرت أعداد الضحايا بما يزيد على خمسين ألف قتيل وقيل مليون بالإضافة إلى الآف المفقودين والمحتجزين في السجون لا يعرف لهم خبر.

هذا بعض ما جناه العراق من الطغاة الذين سلطوا على رقاب شعبه وتمكنوا من التصرف بثرواته وخيراته.

أما عن سلوكيات ومبادئ حزب البعث في العراق، فقد نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ لأنه وكما يقول - عقول - إن القدر هو الذي حملنا هذه الرسالة، وخلونا أيضًا حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقوته لفرض تعليمات الحزب.

ومن ثم لا يوجد أي مواطن عراقي يتمتع بأبسط قدر من الحرية الشخصية أو السياسية في قبل ذلك؛ فكل شيء في دولة العراق يخضع لرقابة بوليسية صارمة، وتشكل دوائر المباحثات والمخابرات والأمن قنوات الاتصالات الوحيدة بين المواطنين والنظام. وتركز سياسة الحزب على قطع كافة الروابط بين العروبة والإسلام، وتنادي بفصل الدين عن السياسة، والمساواة بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين الدين الإسلامي.

وادعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية شرط أساسي لبقاء الأمة العربية وإمكان تقدمها، مع أن النتيجة الحتمية للسياسة الاشتراكية التي طبقت في العراق لم تجلب الرخاء للشعب، ولم ترفع مستوى الفقراء، ولكنها ساوت الجميع في الفقر، وبعد أن كان العراق قمة في الشراء ووفرة الموارد والثروات، أصبح - بطيش الحزب الحاكم - عاجزاً عن توفير القوت الأساسية لشعبه، كما قام بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي لها صلة بالإسلام، فأصبحت العثمانية هي دستور العراق، ومعتقدات صدام وحزبه ومفاده هي مصدر التشريع لقوانينه.

لقد ورد في التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع المنعقد ببغداد عام (١٩٨٢م) ما يلي: وأما الظاهرة الدينية في العصر الراهن فإنها ظاهرة متخلفة في النظرية والممارسة.

ولذلك فقد اتجه صدام التكريتي وحزبه إلى إعلان الحرب على الإسلام والعاملين له في كافة المجالات، ولسان حاله: و كنت امرء من جند ايليس فارتقى بي الحال حتى صار ايليس من جندي.

فقام بقتل العلماء ومحاجمة الحوزات العلمية، وأصدر أوامره بإغلاق منات المساجد والحسينيات والمراقد الإسلامية في العراق؛ لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها، وقام بالقاء القبض على من يتربد إليها، وتتابعت القرارات باعدام الآلاف من الشخصيات الإسلامية.

وأحال الكثيرين من أساتذة الجامعات إلى التقاعد، ثم قدمهم إلى المحاكمة، وصدرت بحقهم أحكام مختلفة بسجنهم لفترات طويلة.

كما قام بالجرائم التالية:

محاربة ارتداء الحجاب الإسلامي بين الفتيات المسلمات.

تشجيع العلاقات غير الشرعية بين الفتیان والفتيات.

فتح النوادي الليلية وتشجيع الفساد في كافة المجالات.

تقديم معونات سخية لكل من يقوم بفتح محلات اللهو والرذيلة، حتى أصبحت مظاهر الفجور والعهر تكسو بعض الشوارع والأسواق، وحانات الخمر تملأ الأزقة والأحياء.

وكان هذا النظام من آخر الدول التي قبلت الانضمام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بعدما شعر بعزله إسلامياً، ولم يلتزم بقرارات المؤتمر عملياً.

كما دأب على دعم النظم العثمانية ضد كل من يرفع شعار الإسلام سواء في لبنان أو كشمير أو فلسطين أو قبرص أو أفغانستان، وهكذا في كل قضية إسلامية أخذ موقعه إلى جانب القوى المعادية للإسلام.

وقد جلب من وسائل التعذيب في سجون ومعتقلات بلاده ما تشعر لهوله الأبدان، وعرف عن جلاوزته أنهם يلجنون إلى أ بشع وسائل التعذيب شناعة وقساوة في سبيل انتزاع الاعترافات من المساجين أو تثييم عن معتقداتهم، حتى فاق كل طغاة التاريخ في الإرهاب من أمثل الحاج حسني وزياد بن أبيه وهارون ومن شاكلهم في الجرم والإجرام.

وقد اتضحت سياسة طغاة العراق وكذبهم في المناهة بالوحدة وانكشف أطماعهم في السعي للهيمنة على العالم العربي عن طريق الضم بالقوة، حيث بدأ بمنطقة الخليج، وتسببت في انهيار وعجز الأمة العربية بمختلف مؤسساتها ومنظوماتها عن ردع العدون الإسرائيلى.

وفضحت أطماع وتوجهات هذا الحزب لاحتلال السعودية الكويت ودول الخليج العربي، بعدما وجهوا صواريختهم لضرب المدن في الجزيرة العربية، وقاموا بنسف آبار النفط في الكويت وإضرام النار فيها. وغير ذلك من الوييلات والماسي التي جرت على الشعب العراقي الذي ابتلى بهذا النظام.

لا شك أنه بشخص صدام التكريتي ونظامه قد انكشف زيف وكذب ادعاءات وشعارات الحزب الحاكم في العراق وأصبح مرفوضاً على المستوى المحلي والعربي والإسلامي، بسبب أسلوبه الهمجي في التعامل مع جيرانه وأشقائه ومواطنيه، كما أصبح صدام ممقوتاً

الغاية في وجود الحزب الحاكم

من الطبيعي في نشوء أي فكرة أو نظام أو حزب أو ما إلى ذلك كله، أنه يحتاج إلى علة وغاية لوجوده^(١)، سواء كانت الغاية سامية ونبيلة أم كانت سافلة ورذيلة. ففكرة إيجاد حزب البعث في العراق نشأت بأوامر وتوجيهات الاستعمار الغربي بصورة عامة، والاستعمار البريطاني بصورة خاصة.

أما الغاية من إيجاده في جسد الأمة الإسلامية بصورة عامة، والشعب العراقي بصورة خاصة، فكانت كالتالي:

إن النفوذ الاستعماري لدول الغرب، أعقاب الحربين العالميتين اتخذ أبعاداً خطيرة، وخاصة الدول المنتصرة - الحلفاء - كأمريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي، ولقد عملت الدول المذكورة بكل ما تستطيع من قوى على إبقاء دول العالم هناك تحت هيمنتها، فقسمتها إلى مناطق نفوذ لها، فكل دولة أخذت مجموعة من الدول الصغيرة وضمتها إلى سيطرتها، وكان العراق من حصة بريطانيا^(٢)، وهذا فيه كلام كثير ذكر في محله.

من حيث جبلته الشيريرة وغريزته العدوانية المسعورة، وجنون العظمة المسيطر على تصرفاته، ولجوئه إلى المخادعة بعد أن انكشفت نواياه الخبيثة في التعامل مع شعبه وفي حربه مع إيران، ثم في انقلابه على الكويت الداعمة له في حربه السابقة.

ومن الملاحظ أن كلمة الدين لم ترد مطلقاً في صلب الدستور العراقي، وإن كلمة الإيمان بالله على عموميتها لم ترد في صلب الدستور، لا في تفصيلاته، ولا في عمومياته، مما يؤكد على الاتجاه ضد الدين في الحزب الحاكم في العراق، حتى في بناء الأسرة لا يشيرون إلى تحريم الزنى ولا يشيرون إلى آثاره السلبية.

أما في السياسة الخارجية لا يشيرون إلى أية صلة مع العالم الإسلامي. ولا يشارون إلى التاريخ الإسلامي الذي أكسب الأمة العربية مكانة وقدراً بين الشعوب.

ورغم تظاهر الحزب بالمطالبة باتاحة أكبر قدر من الحرية للمواطنين فإن ممارساته القمعية فاقت كل تصور وانتهكت كل الاحترامات ووأدلت كل الحريات وألجمت الكثرين إلى الهرجة والفرار بعقيدهم من الظلم والاضطهاد.

والنظام الحاكم في العراق يتطلع إلى استلام السلطة في جميع أرجاء الوطن العربي؛ باعتبار ذلك جزءاً لا يتجزأ من طموحاته البعيدة، وقد أدت بهم هذه الرغبة العارمة إلى السقوط في حماة الإنذار المقنع والتهديد السافر والعدوان الصريح، وربما يكون حزب صدام وزمرته أسوأ ما شهدت التاريخ في هذا البلد.

١- المقصد من العلة: الموجد، والمقصود من الغاية: الهدف.

٢- وذلك عبر اتفاقية سايكس - بيكيو (١٩١٦م) وهي اتفاقية سرية تم إبرامها في الفترة من (١٩١٦/٥/١٦-١٩١٦م) بين فرنسا وبريطانيا العظمى، بموافقة روسيا القيصرية، وأطلق عليها في البدء (الاتفاقية الإنكليزية الفرنسية الروسية) أو اتفاقية (سايكس - بيكيو - سازانوف) نسبة إلى ممثلي الدول الثلاث المعنية، وقد تم بموجب هذه الاتفاقية، التفاهم على تقسيم سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وبعض الأراضي التركية فيما بين هذه الدول وتعتبر هذه الاتفاقية المشروع الذي اعتمدت عليه فرنسا وبريطانيا لتقسيم المشرق العربي فيما بعد.

ففي نهاية القرن التاسع عشر أنجزت الدول الاستعمارية التخطيط الجدي لتصفية الإمبراطورية العثمانية وتصفية تركتها، وقد مثل السير مارك سايكس الجانب البريطاني للمفاوضات وجورج بيكيو الجانب الفرنسي ووافق عليها سيرغي سازانوف وزير الخارجية الروسي، وبعد اندلاع الثورة البلشفية في روسيا عام (١٩١٧م) قامت القيادة البلشفية بكشف كافة الاتفاقيات والمعاهدات السرية التي كانت الحكومة القيصرية قد عقدتها ومنها اتفاقية (سايكس - بيكيو - سازانوف) وهذا مما أثار الرأي العام العربي حيث فوجى الأمير

والدول الاستعمارية عادة تفك في أسهل وأرخص الأساليب لإدارة شؤون البلاد المستعمرة، إما بطريقة مباشرة بواسطة الاحتلال المباشر، أو بطريقة غير مباشرة، أي بزرع أنظمة وتكلات من داخل البلاد المستعمرة تدير شؤون البلاد بطريقة ضمن صالح الدولة الاستعمارية.

مارست بريطانيا الأسلوبين معاً في إدارة شؤون العراق، ففي بداية الأمر استخدمت الأسلوب الأول (التدخل المباشر)، عبر احتلال العراق عسكرياً، وذلك عام (١٩١٧م) عندما أكملت الجيوش البريطانية احتلال بغداد وقال قائدتها (١): (إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء بل محربين)، ولكن هذا الأسلوب فشل في إدارة شؤون العراق؛ وذلك للتصدي والمعارضة الشديدة التي أبدتها أبناء الشعب العراقي بقيادة العلماء لمخططات الاستعمار ومكانته، إبان ثورة العشرين (٢) التي قادها العلماء المراجع ضد قوات الاحتلال البريطاني وجيوشه التي خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى أمام دول المحور، ولكنها خرجت منكسرة أمام جهاد الثوار وصمود وصلابة قادة الثورة الذين انضوا تحت قيادتهم كافة أفراد الشعب العراقي وعشائره. وفي ظل هذه الظروف أخذ الإنكليز بالمراءة والتجنوا إلى الأسلوب الثاني، أي أسلوب زرع التنظيمات والتكلات الاستعمارية داخل الشعب العراقي لإدارة شؤون البلاد والضغط على الشعب، ومن ثم عقد اتفاقيات ومعاهدات تمرر عبرها كل مؤامراتها ضد الإسلام والمسلمين عموماً وال Iraqيين خاصة.

وحتى تستفيد من أغلى خيرات العراق، الطبيعية والصناعية والمعادن والموارد الحيوية من نفط وغاز وفوسفات وكبريت... الخ، وكذلك لتنشغل الأيدي العاملة العراقية لصالحها، ولتجميد عقول العراقيين عن التفكير في شؤون بلادهم وكيفية الوصول إلى الهدف المنشود خلقو للشعب مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية يجعل همهم الوحيد كيفية الحصول على لقمة العيش، والاحتراز من السيف المسلط عليهم من قبل النظام الحاكم.

الهاشمي حسين بن علي شريف، مكة بأمر الاتفاقية، وحين سأله عن صحتها أذكر البريطانيون ذلك واتهموا تركيا بالسعى لبث الفرقة بين العرب والإنكليز.

واستغلت بريطانيا انسحاب روسيا من الاتفاقية ووجود قواتها بكثافة في فلسطين والعراق فأخذت تناور على فرنسا لإجبارها على التخلّي عن جزء من حصتها ونفوذها في المشرق العربي لصالح بريطانيا، وبعد صراع خفي دبلوماسي بين حليفين الأمس تم التوصل إلى حل وسط تمثل في توقيع اتفاقية معاهدة جديدة بين البريطاني لويد جورج والفرنسي جورج كلينمنصو في (١٩١٩/٩/١٥) وكانت هذه الاتفاقية هي الأساس الذي استند إليه مؤتمر سان ريمو في (١٩٢٠م) وما صدر عنه من معاهدات واتفاقيات.

١- قائد القوات البريطانية التي احتلت بغداد في (١١ آذار ١٩١٧م) هو الفريق السير ستانلي مود، حيث أذاع في بيان بعد إكماله احتلال بغداد فقال: (إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء بل محربين) - أي من الحكم العثماني -. مات في (١٨ تشرين الثاني ١٩١٧م) اثر تسمم أصيب به، أقيم له تمثال أمام السفارة البريطانية بجانب الكرخ في بغداد. انظر (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها).

٢- هي ثورة عارمة ضد الاستعمار الإنكليزي في العراق عام (١٩٢٠ - ١٣٣٨هـ)، حيث أصدر قائد الثورة الإمام الشيخ محمد تقى الشيرازي R والذي كان المرجع الأعلى للطائفية، فتواء الشهيرة ضد التوادج الإنكليزي في العراق مما اضطروا للخروج بعد الخيبة والانكسار، وهذا نص الفتوى: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم) انظر (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها): ص ١٩٥ - ١٩٢.

الوعي الديني السياسي

من أهم الأسباب التي دعت الاستعمار البريطاني إلى إيجاد نظام تعسفي يدير شؤون العراق ويحكمه بالحديد والنار هو نمو الوعي الديني والسياسي، وظهور الصحوة الإسلامية عند غالبية الشعب العراقي، فأغلبية الشعب العراقي اتحدت تحت لواء علماء الدين المتمثلة في تلك الفترة بـمراجع الدين العظام^(١)، وكذلك تعددت قنوات التوعية في المجتمع العراقي، من أمثل الخطباء والشعراء المسلمين، وانتشار الكتب والمجلات والموسوعات العلمية، التي تحاول جميعها أن تجعل من الشعب العراقي شعباً واعياً في أمور دينه ودنياه. هذا كلّه إضافة إلى غaiات سياسية أخرى جعلت الإنجليز يفكرون في إيجاد نظام يحمل جميع مواصفات الإجرام والتبعية، فررّ نظام حزب العمالقة في جسد الأمة الإسلامية في العراق، ليحقق لهم من المطامع والمصالح ما لم يستطيعوا هم تحقيقه مباشرة وبشكل لم يحلموا به، ومن ذلك يتبيّن لنا أن غاية وجود هكذا أنظمة في العراق إنما هو لصالح الاستعمار، وليس لصالح الشعب العراقي^(٢).

فعلى كافة المسلمين في هذه المعمورة وعلى المسلمين المجاهدين من أبناء شعبنا العراقي المظلوم، وخصوصاً الذي هجرهم النظام البغي، ونفاهم عن أراضيهم ومسقط رأسهم، وعلى كافة الخيرين في العالم الوقوف بوجه هذا النظام بكلّة الوسائل والإمكانيات؛ لأنّ خطره ليس على الشعب العراقي فحسب، بل على العالم الإسلامي بأكمله، بل وعلى جميع الخيرين ومحبي الإنسانية في العالم، وإن جبين الإنسانية ليندّي من تصرفات وأفعال هذا النظام الاستعماري الغادر، وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) كلمة الفصل حينما انبرى مخاطباً الإنسان الذي لا يعمل على مكافحة الظلم والطغيان: «أما بعد فقد علمتم أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله، يعلم في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير يقول ولا فعل، كان حقيقةً على الله أن يدخله...»^(٣).

^١- فقد كان في العراق وحده من المراجع الكبار الذين كان لهم الدور الكبير والمؤثر في السياسة الدولية كالمجدد الشيرازي والميرزا محمد تقى الشيرازي والسيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ كاظم الخراساني والسيد الحبوبي والسيد الحكيم وغيرهم من كبار العلماء.

^٢- وهو واضح وجلي ويظهر بوضوح لما آل إليه أمر الأمة الإسلامية وال伊拉克 خصوصاً في هذه السنين، حيث أدخل في حربين خاسرتين استنزفت طاقات وموارد العراق البشرية والمادية، أولها الحرب التي هاجم فيها إيران واستمرت ثمان سنوات وذهب ضحيتها مليوني إنسان من الشعبين العراقي والإيراني ومنات المليارات من الدولارات كخسائر مادية، وال Herb الأخرى عندما أقدم النظام على احتلال الكويت، حيث أدى ذلك إلى تجمع قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، فقامت باخراج العراق من الكويت ووضع العراق تحت حصار طويلاً، وكلفت هذه الحرب منات الآلاف من الخسائر البشرية ودمّرت البنية التحتية للبلد ويرزخ الآن على كاهل العراق من الديون ما يزيد على منات المليارات من الدولارات، وهذا كلّه نتيجة وجود هذه الأحزاب العميلة.

^٣- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٨١ ب ٣٧ ما جرى عليه (عليه السلام) بعد بيعة الناس ليزيد بن معاوية إلى شهادته صلوات الله عليه...

التهجير وسلوكيات الحزب الحاكم

إن من أشد المأساة التي ابتنى بها علينا العراقي المسلم، في ظل حكم العفالقة، هي مأساة التهجير الإنسانية والتي تتعارض مع أبسط حقوق الإنسان والقوانين والأعراف الدولية، خاصة مع تلك الظروف التي مر بها المهاجرون خلال الحملات الهمجية المفتقدة لأبسط معاني الإنسانية.

حيث قام هذا النظام بتهجير مجتمع كبير من أبناء هذا الشعب المظلوم، يصل عدد المجموعة الواحدة إلى ألف شخص أو أكثر أو أقل - وفي بعض الأحيان عائلة واحدة تهيم على وجهها في البراري والقفار دون رشد أو دليل - في ظروف مأساوية وعبر مناطق حربية حدودية ممزروعة بالألغام والمتفجرات، راح ضحيتها عدد كبير من هولاء الأبرياء، الذين سفّرهم نظام البعث لا لذنب اقترفوه، سوى أنهم من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن أنصار سبط رسول الله الحسين بن علي (عليه السلام)، لا لأنهم غير عراقيين (تبعية) كما يدعى النظام^(١).

فإن من سلوكيات النظام الباعثي الحاكم في العراق هو ملاحقة الخيرين ليس في العراق فحسب بل في جميع بقاع العالم.

فالشخص الملائم صاحب المبادئ الذي يسير مع الحق ويحارب الظلم مستهدف من قبل النظام العراقي. ويستخدم النظام عدة وسائل في سبيل تصفية مثل هولاء الأشخاص في العراق، كالاعدام بتهم ملفقة، والسجن مع أشد التعذيب، أو التهجير وسلب الأموال والممتلكات الأخرى، كما فعل بهذه ثلاثة الخيرة من أبناء العراق الجريح، أو الغدر والاغتيال غيلة كما فعل بالأخ الشهيد السيد حسن الشيرازي^(٢) ..

١- انظر ما نصت عليه قرارات التهجير التي أصدرها - التي ذكرناها سابقاً - النظام الحاكم تتضح الأهداف والغايات.

٢- آية الله الشهيد السيد حسن بن السيد الميرزا مهدي الشيرازي R، ينحدر من أسرة اشتهرت بالعلم والفضيلة والتقوى ومكافحة الاستعمار. ولد في مدينة النجف الأشرف عام (١٣٥٤هـ). درس السطوح العليا على يد العلماء الكبار أمثال والده آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي R وآية الله العظمى السيد محمد هادي الميلاني R وآية الله العظمى الشيخ محمد رضا الأصفهاني R. اشتهر في الأوساط العلمية بالعلم والفقاهة والذوق الأدبي والعمل الدؤوب.

كان من طليعة المحاربين للحكومات الجائرة التي تعاقبت على العراق بالفكر واللسان والعمل، فتعرّض لمضايقات عديدة وللاعتقال والتعذيب. ترك العراق مهاجراً إلى لبنان وسوريا عام (١٣٩٠هـ) واستمر في نشاطه العلمي والديني والفكري والسياسي، على أرض المهجّر وتعرّف ظلامة الشعب العراقي للعالم. فأسس المدارس الدينية والمراقد الإسلامية والحسينيات، فأسس الحوزة العلمية الزينبية في سوريا عام (١٣٩٣هـ) بتوجيه من أخيه الإمام الراحل R وكان يدرس فيها بحث خارج الفقه والأصول، وأسس مكتب جماعة العلماء في لبنان عام (١٣٩٧هـ) ومدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ودار الصادق G وغيرها.

اختيل (رحمه الله) برصاصات علّماء نظام الطغاة الحاكم في العراق بمدينة بيروت عام (١٤٠٠هـ).

خلف آثاراً مطبوعة ومحفوظة منها: موسوعة الكلمة في ٢٥ مجلداً تتضمن: كلمة الله (جل جلاله)، وكلمة الإسلام، وكلمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآلـهـ)، وكلمة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، كما ألف كتاب (خواطري عن القرآن) الذي يقع في ثلاثة مجلدات، والاقتصاد الإسلامي، ودواوين شعرية، والعمل الأدبي، والأدب الموجه، والشاعر الحسينية، وغيرها، للتفصيل راجع كتاب (حضارة في رجل) للسيد عبد الله الهاشمي، وكتاب (أسرة المجدد الشيرازي) لنور الدين الشاهرودي، و(الراحل الحاضر) لمؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام و(الموجز الجامع) للشاهرودي والفالاني.

وغيره^(١).

فالتجير أسلوب استخدمه طغاة العراق لإرهاب الناس ونشر سيطرتهم على البلاد ونهب ثروات العراق، ولكنهم جهلوا أن هذا الأسلوب سوف يعود عليهم بالخزي والعار الآن وفي المستقبل، وسوف يسجل التاريخ على طغاة العراق وفي صفحة بارزة مفصلة جميع أعمالهم الإجرامية، لتكون شاهداً على تبعيتم وانحرافهم قال تعالى في كتابه الكريم: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيمُكْرُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا يَأْنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))^(٢).

ولقد صبغ النظام الباعثي العراقي هذه العملية (التجير)، بصبغة قومية لتبرير أعماله الإنسانية، واستئمالة بعض الأقلام المتعنتة المأجورة، التي تنادي بالقومية الجاهلية التي تخالف الإسلام. لذا يلزم على جميع المثقفين من كتاب وصحفيين ومبليغين في جميع أنحاء المعمورة، وخصوصاً العراقيين منهم، أن يعملوا على فضح وتعرية أساليب هذا النظام، ففي الحديث الشريف: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»^(٣).

وأذكر، بل وأحذر الأخوة المسلمين من مهجرين وغيرهم من مغبة التفاس عن العمل، أو التهاون في طريقة التعامل مع هذا النظام، سواء كان بأسلوب مباشر أو بأسلوب غير مباشر، مثل: الكلام لصالحه دون قصد، أو الانخراط في المشاغل الشخصية فقط، وترك المسؤولية الكبرى وهي الجهاد في سبيل إسقاط نظام طغاة العراق عبر نشر الوعي والثقافة في جميع أوساط الأمة والتبلیغ بالمال والقلم واللسان ونحو ذلك، وتأسيس المنظمة العالمية الإسلامية للدفاع عن الحقوق المهدورة.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ((إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))^(٤).

العناصر الدخيلة في نظام الحكم

إن النظام الحاكم في العراق عندما قام بتهجير عشرات الآلاف من أبناء العراق بحجج وادعاءات واهية وضعيفة، مبنية على أساس أن هؤلاء المهجرين هم غير عراقيين من الذين لم تدرج أسماؤهم ضمن سجل الأحوال المدنية لسنة (١٩٢٠م)، وأدعى بأنهم من أصول فارسية وتركية، فهذا يبطله الواقع؛ لأن أغلب المهجرين هم من حملة الجنسية العراقية، وهم مولودون في العراق أبداً عن جد، وقد ساهموا في إعمار وحماية

١- كالعلامة الشهيد السيد محمد مهدي بن آية الله العظمى الإمام السيد محسن الحكيم ر الذي ولد في النجف الأشرف سنة (١٣٥٣هـ) واستشهد في السودان على يد علماء مأجورين لطغاة العراق في عصر يوم الأحد (٢٧ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ) المصادر

(١٧) كانون الثاني ١٩٨٨م).

٢- سورة الأنعام: ١٢٣.

٣- الكافي: ج ٢ ص ١٦٤ باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ح ٥.

٤- سورة المتحنة: ٩.

العراق من المخاطر الخارجية والداخلية، وأغلبهم شارك هو أو آباؤه أو أجداده في الثورات التي قام بها أبناء الشعب العراقي ضد المستعمرتين الأجانب، وخصوصاً ثورة العشرين التي قامت ضد الاستعمار الإنجليزي.

وإذا كان ما يدعوه النظام - صحيحاً - بأنه سفر هؤلاء الخيرين من أبناء العراق لأنهم غير عراقيين، فهذا الإدعاء هو وحده كاف لإدانة هذا النظام؛ فالسؤال الذي يطرح نفسه هو:

إذا كان قرار التسفيه أو التهجير مبنياً على عدم أصلية وانتماء الشخص إلى العراق، أي إذا كان الشخص من غير العراقيين الأصليين فهو معرض للتهجير، فمن أين تأتي الأصلية إلى أزلامه وعناصره المنتفذة، من أمثال:

ميشيل عفلق (١).

شبل العيسوي (٢).

طارق يوحنا عزيز (٣).

والبيطار (٤).

وحيد ساسون حسقيل (أحمد حسن البكر) (٥).

١- ميشيل عفلق مسيحي من أم يهودية مواليد دمشق (١٩١٠م)، أحد مؤسسي حزب البعث مع صلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني وغيرهم، سافر إلى باريس عام (١٩٢٨م) للدراسة فتخصص بدراسة تاريخ الثورات وتاريخ الأديان، وكان تحت رعاية المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون الذي يعتبره من أحسن تلاميذه المؤمنين بأفكاره، وفي عام (١٩٣٢م) عاد إلى دمشق مع صلاح البيطار وامتهنا التدريس ليثبتا من خلاله أفكارهما الغربية والقومية في المجتمع، بين الطلاب والأساتذة، وفي عام (١٩٤١م) أسس حركة الإحياء العربي.

ترك التدريس ليتفرغ لتأسيس حزبه الذي أعلن عنه في (٧ نيسان عام ١٩٧٤م)، وبعد الإنشقاقات التي حصلت داخل الحزب عام (١٩٦٦م) مال عفلق مع الجناح الدموي للحزب في العراق وكان راعيه وعرباه، وفي عام (١٩٨٩م) سافر إلى باريس للعلاج فهلك في إحدى مستشفيات باريس بعد عملية جراحية، أعيدت جثته إلى بغداد وقبر فيها، فعمل له النظام الحاكم ضريحاً لكي لا ينسى العراقيون أبرز رموز مأساة الأمة الإسلامية والعراق، فظل شاكراً أمام العراقيين!!!

٢- شبل العيسوي سوري ولد عام (١٩٣٠م)، عمل وزيراً للإصلاح الزراعي ثم وزيراً للمعارف، ثم وزيراً للثقافة والإرشاد القومي (١٩٦٣م-١٩٦٤م) - في سوريا - عضو القيادة القومية لحزب البعث. ونائباً للأمين العام لحزب البعث عام (١٩٦٥م)، انضم إلى جناح حزب البعث في العراق.

٣- طارق حنا عزيز، أو طوني حنا عزيز، مسيحي، صحفي سابق، عضو في القيادة القومية لحزب البعث العراقي عام (١٩٧٧م) بعد تصفيات واختيارات لأغلب أعضاء الحزب الحاكم في العراق - ما يسمى بمجلس قيادة الثورة - إذ قاد صدام التكريتي بعد عزله للبكر رئيس الجمهورية آنذاك حملة اعدامات طالت أبرز أعضاء الحزب الحاكم، ولم يبق على قيد الحياة اليوم من شاركوا في انقلاب (١٩٦٨ تموز) سوى عزت الدوري، وطه الجزاوي، وطارق حنا عزيز!!!

تقى مناصب عديدة في جهاز النظام الحاكم أهمها وزارة الخارجية ونائب لرئيس مجلس الوزراء.

٤- صلاح الدين سوري أحد المؤسسين لحزب البعث مع عفلق وackerani وغيرهم، درس في باريس مع رفيقه عفلق، عام (١٩٣٢م) أو (١٩٣٣م)، عمل كل في مجال التدريس، ومن خلاله أخذ ينشر أفكاره الغربية والقومية؛ ترك التدريس ليتفرغ لحزبه، من المؤسسين لحزب البعث عام (١٩٤٧م)، رئيساً للوزراء عام (١٩٦٣م) في حكومة قيادة الثورة - في سوريا -.

٥- أحمد حسن البكر، من مواليد تكريت عام (١٩١٤م)، تقى منصب رئاسة الوزارة في حكومة عبد السلام عارف، ثم منصب رئيس الجمهورية في العشرين من ربى الثاني (١٧/٥١٣٨٨م) إثر انقلاب ذيروه على عبد الرحمن عارف، بعد إيعاز من أسياده الإنجليز والأمريكين والصهاينة. منح نفسه رتبة مهيب - أعلى رتبة في الجيش - بعد الانقلاب، منح أقرباءه وأصحابه وأبناء

وصدام (١).

حقيقة هؤلاء الأشخاص تثبت أنهم غير عراقيين، بل إن بعضهم غير عربي أصلًا.

الشخص الأول في الحزب وهو ميشيل عفلق لا ينتمي للعراق ولا للعروبة في أصل أو فرع، فهو مسيحي عربي، واختلف في ذلك أيضاً، هل هو غربي فرنسي أم عربي يوناني؟ فهو وأبوه ينتميان إلى الديانة المسيحية، أما أمه فهي من الديانة اليهودية، وهو الصديق الحميم لرئيس وزراء إسرائيل (مناحيم بیغن) (٢)، فقد درس معه في مدرسة واحدة، وفي صف واحد.

إضافة إلى ذلك فهو - عفلق - يُعد من العلماء المخلصين للحكومة البريطانية، وهو أحد الأعضاء الفاعلين لشركة لایف الصهيونية (٣).

أما شخص شبل العيسوي، فهو أيضاً مسيحي وغير عربي، فهو من أصل سوري، وقد حكم عليه بالإعدام في سوريا، وفر إلى العراق.

أما طارق يوحنا عزيز، فهو يدين بالمذهب الآشوري المسيحي.

أما حفيد ساسون حسقيل (أحمد حسن البكر)، فهذا جده يهودي الأصل، عمل تاجرًا في سوق بغداد المعروف بسوق (الشورجة) (٤)، وكان يدعى بـ (ساسون حسقيل)، وكان يعمل مع أبناء عمومته في نفس السوق

عشيرته وبنته رتباء عالية دون استحقاق. تحكمت الطائفية والعصبية إبان حكمه للعراق وتدورت الزراعة وترتبت الصناعة وملئت السجون بالمجاهدين والأحرار. عرف بسوءه وغدره حتى بأقرب أصدقائه، نحي عن الحكم إثر انقلاب دبره عليه زميله في الإجرام صدام التكريتي بتاريخ (١٦ تموز عام ١٩٧٩م) بعد أن حكم العراق ١١ عاماً. قتله صدام بحقنة ترفع نسبة السكر لديه بواسطة الدكتور صادق علوش، وذلك عام (١٩٨٢م).

١- صدام التكريتي، طاغوت العراق في العصر الحديث وأتعس نموذج للدكتاتوريين، صاغه الغرب وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وحافظ على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات، ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، نشأ نشأة غير سوية بشهادة كل من عرفه، انتهى إلى حزب البعث واشتراك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة بقائه في القاهرة، كثّر تردداته على السفارة الأمريكية، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط - عن أحد كبار المسؤولين العرب -، بأن الرئيس عبد الناصر قد أخبر - المسؤول العربي عام ١٩٦٩ - أن صدام حسين هو رجل أمريكا الأول في المنطقة، وإنه كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وكان المنفذ الأول لتصفية الحساب مع مجموعة عبد الرزاق النايف بعد ثلاثة عشر يوماً من انقلابهم، حيث تمت تصفية غير المرغوب فيهم، وفي عام (١٩٧٠م) أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة ورئيسة الجمهورية في حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد إقصاءه البكر عن الحكم.

هاجم إيران عام (١٩٨٠م) فاندلعت حرب الخليج الأولى التي استمرت ثمان سنوات. احتل الكويت عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بدمir العراق ووضعه تحت حصار طويل الأمد. انقض الشعب فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية لا مثيل لها، فقد قررت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا ما يزيد على ٥٠٠ ألف - قبل مليون - عراقي.

٢- رئيس الوزراء الإسرائيلي الاسبق، في عهده تم اتفاق عرف بمعاهدة (كامب ديفيد) وهي معاهدة صلح إسرائيل مع مصر في عهد أنور السادات برعاية أميركا.

٣- وفي رسالة للبابا بولس الأول إلى عفلق قال له فيها: إنك خدمت المسيحية أكثر من أغلى الرهبان !!.

٤- وهو سوق كبير وقديم يقع في بغداد، كان التجار اليهود هم المسيطرة فيه على الأعمال التجارية، وفيه قبر الشيخ الحسين بن روح النائب الخاص للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه).

(الشورجة) وحصل خلاف بينه وبين أبناء عمومته بشأن بعض المعاملات التجارية فقطع علاقته بهم، وترك العمل في دكانه وغير مجرى حياته، فرحل إلى تكريت، وأسلم ظاهرياً في تكريت على يد أحد علماء السنة يدعى (الشيخ عبد الله)، وأخذ يشتهر بين الناس في تكريت بأنه قد أسلم، وقد تبين فيما بعد أن هذا العمل ما هو إلا خطة استعمارية، ثم بدأ هذا الملا - كما يدعى - اسمه إلى (أبو بكر) ثم جعلوا ينادونه باسم (بكر)، ثم يولد للبكر هذا ولد يسميه (حسن)، ومن الجدير بالذكر أن اسم (حسن) هو اسم قليل الشياع بين أهل السنة في العراق، فيتضح هنا بأن وضعهم لاسم (حسن) ما كان إلا خطة مدروسة لتضليل أبناء الشعب العراقي، ولكسب عواطف الشيعة، ثم بعد ذلك ولد لهذا، أي لـ (حسن) مولود سمي بـ (أحمد).

وأما (صدام) فقد تحير العراقيون في إرجاع نسبه، هل هو عربي عراقي أم غير عراقي؟ وهل هو مسلم أو مسيحي أم يهودي أم مازا؟

فبعضهم يقول: بأن اسم (حسين) هذا ليس هو الاسم الحقيقي لوالده، وكان بعض العراقيين يعرف أباه، ويقول أنه كان يعمل في السفارة البريطانية بصفة خادم، وبعضهم قال: إنما سماه الإنكليز بهذا الاسم - حسين - لكي لا يستطيع أحد أن يطلع على اسمه الحقيقي، فنسبه إذن من الأمور المجهولة على الشعب العراقي، وقيل بأن صدام كان قبل الانقلاب العسكري عام (١٩٦٨م)، موظفاً صغيراً يعمل في دائرة الكهرباء براتب بسيط، وعندما جاء به من قبل الاستعمار إلى الحكم في العراق ما هي إلا فترة حتى أصبح يعد من أغنياء العالم، والسبب معروف ونحن لسنا بصدده ذلك الآن.

إذن هؤلاء هم عناصر الحزب الحاكم في العراق، ومن على شاكلتهم أيضاً هذه سيرتهم، فهم بالإضافة إلى أصولهم وأنسابهم غير العراقية، وغير العربية، أو المشكوك فيها أصلاً عملوا على ظلم الشعب العراقي بكافة الوسائل التي وضعها لهم الاستعمار، وقتلوا وشردوا وسجروا وسلبوا حقوق الشعب كافة، حتى أصبح العراق سجناً كبيراً بفعل تصرفاتهم المشبوهة، بل ويتبعوا باتهام العراقيين بأنهم غير العراقيين، وغير عرب، فائي الفريقين أولى بالتسفير؟!

هل الأشخاص الذين يعملون في سبيل الله والوطن، وقاوموا الاستعمار وأطماعه هم وأباوه هم وأجدادهم، وضحوا بدمائهم وأموالهم في سبيل الله والإسلام والوطن، أم أولئك البداء عن الشعب والوطن المرتبطين بتحولات مشبوهة وأحزاب تتسرّب بشعارات مزيفة، والذين عملوا ما عملوا بهذا الشعب من أعمال إجرامية قادت العراق إلى هذا الوضع المتردي والمزري الذي هو فيه الآن^(١).

فجميع الأعراف والقوانين الدولية والمحليّة ينددون بهذه الزمرة الطاغية التي ظلت وشردت وقتلت أبناء الشعب العراقي؛ وذلك لأن الظلم قبيح، وعامل القبيح يستحق الذم والعقاب من قبل جميع العقلاة، فلينظر حكام العراق مصيرهم الأسود بالقريب العاجل - إن شاء الله تعالى - قال عز من قائل في كتابه الكريم: ((إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبُّحُ أَلَيْسَ الصُّبُّحُ بِقَرِيبٍ))^(٢).

وقال تبارك وتعالى: ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ حَيْزٌ لَا يَنْفَسُوهُمْ إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَرَدَّوْا إِثْمًا وَلَهُمْ

^١- وإن كان لهم تاريخ في العراق فتاريخهم يشهد على عمالتهم وخيانتهم وغدرهم بالأمة الإسلامية والعربية وال伊拉克.

^٢- سورة هود: ٨١.

عذابٌ مُهينٌ)) (١).

طغاة العراق.. أهداف وأساليب

إن الأسلوب الذي تتبعه الأنظمة المستبدة الفاسدة في إدارة شؤون البلاد عادةً ما يكون أسلوباً تعسفيّاً، مبنياً على الإرهاب والقتل والتشريد والتصفية الروحية والجسدية لمعارضيها، وهذا الأسلوب قريب جداً من أسلوب عمل العصابات العالمية، كعصابة المافيا في إيطاليا ومنظمة الهاغانا الصهيونية وجهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد)، وما شابه ذلك. فهذه الأنظمة الفاسدة والعصابات العالمية تعتمد أسلوب التصفية لكل من يعارضها، وخصوصاً الأشخاص الذين كانوا منتمين إليها ثم خرجوها منها لسبب أو لآخر، مثلًا ينكشف لهم زيف الشعارات والأهداف التي كانت تندي بها هذه الأحزاب والأنظمة هذا إذا كان دخولهم فيها لجهلهم بأسلوب تلك العصابات وغفلتهم عن ارتباطها وأهدافها، أو يقضون على عملائهم لانتفاء الحاجة إليهم، فتتم تصفيتهم بكافة الوسائل؛ لأن هؤلاء الأشخاص بدخولهم في تلك الأنظمة سوف يطلعون على أسرار عملها وطريقة تعاملها مع الناس والقضايا، وبما أنها على باطل فعندما يخرجون سوف يفضحونها ويكتشفون للناس باطلها وزيفها وعمالتها؛ ولذا فإن تلك الأنظمة تسعى في قتلهم بكافة الوسائل. ويكون ذلك - القتل - عبر قتلهم شخصاً أو قتل شخصياتهم أيضاً في كثير من الأحيان.

وهذا الأسلوب نراه واضحاً في تعامل نظام البغث الحاكم في العراق مع عناصره، وهو دليل آخر مع آلاف الأدلة التي تثبت عمالة وهمجية هذا النظام، فقد عمد هذا النظام ومنذ الأيام الأولى لتأسيسه إلى هذا الأسلوب وهو القتل والسجن والتشريد لأغلب معارضيه، بل وأكثر من ثلاثة أرباع أتباعه المنتمين إليه، والذين حاولوا الخروج من هذا الحزب، فأين البغيون الأوائل من أمثال:

حردان التكريتي (٢)..

وناصر الحاني (٣)..

وابراهيم الداو..

١- سورة آل عمران: ١٧٨.

٢- حردان عبد الغفار التكريتي، عسكري عراقي عرف بتعلقه بالمobicats، أكمل دراسته الثانوية في مدينة سامراء ثم واصل دراسته الجامعية في بغداد، عين كنائب القائد العام للقوات المسلحة عام (١٩٦٣م)، اشتراك مع أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش في ضرب ما عرف بالحرس القومي عام (١٩٦٣م) وتحالفهم مع عبد السلام عارف رئيس الجمهورية في حينه، فعينه الأخير وزيراً للدفاع. اشتراك في انقلاب (١٧ تموز عام ١٩٦٨م). اغتيل في الكويت عام (١٩٧١م) وقد عملية الاغتيال حمودي العزاوي المستشار السابق في السفارة العراقية في الكويت، وقام صدام بإرسال عبد الكريم الشيشلي وزير الخارجية آنذاك بطائرة خاصة لتهريب قتله حردان

٣- كان سفيراً للعراق في لبنان قبل انقلاب (١٩٦٨م) حيث تم التنسيق عن طريق (بشير الطالب) الملحق العسكري في السفارة مع الأمريكان والبريطانيين والانقلابيين لفرض تجنيدهم ويعتبر عراب انقلاب (تموز ١٩٦٨م)، عين وزيراً للخارجية بعد الانقلاب، تمت تصفيته على يد رجال السلطة في أحد شوراع بغداد.

وعدنان حسين الحمداني (١) ..

ومحمد عايش (٢) ..

وعبد الخالق السامرائي، وعبد الوهاب الأسود، وغيرهم (٣).

ألم ينته مصيرهم إلى القتل أو التشريد؟

فهذا (ناصر الحاتي) الذي كان يعد من الحزبيين الكبار فيما يسمى مجلس قيادة الثورة، اختلف في الرأي مع بعض العناصر الرئيسية في الحزب، وتشاجر معهم وهددتهم، وقال لهم: سأذهب وأكشف زيفكم وحقيقةكم للشعب العراقي، وأقول لهم: بأن نظامكم عميل لإنكلترا، والدليل على ذلك هو أن السفارية الإنكليزية كانت تمدكم بالمال عن طريقي أنا، فتم قتله في نفس الليلة، وشم إلقاء جثته في منطقة من مناطق بغداد يقال لها: منطقة قاتة الجيش.

وهذا (حردان التكريتي) من القياديين في الحزب الحاكم، بمجرد اختلافه معهم تم عزله وعندما هدد بالقتل حاول أن يفتشي أسرار طغاة العراق فتمت تصفيته وقتله في دولة الكويت في حادث اغتيال مدبر ولم تشفع له سنوات خدمته لهم.

وذاك (عبد الوهاب الأسود) أيضاً، حاول أن يعمل نفس العمل الذي قام به حردان وناصر الحاتي، فتمت تصفيته أيضاً، وهكذا تمت تصفية أكثر من ثلاثة أرباع العناصر الأولى في جهاز حزب البعث العراقي. وهكذا لم تتوقف وحشية هذا النظام على العناصر التي عملت معه وحاوت كشف زيفه وتبعيته، بحيث جعل ذلك هدفاً لسياساته التعسفية، بل شملت جميع أصناف الشعب العراقي المظلوم.

فعلى جميع الأخوة الأحرار المؤمنين في المعمورة، وخصوصاً الأخوة المؤمنين في العراق الوقوف بوجه هذا النظام الباغي عبر نشر الثقافة والوعي والمطالبة الدولية بحقوقهم المشروعة؛ والله تعالى سوف يعوضهم عن ذلك، حيث قال تعالى في كتابه الكريم: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُهُمْ وَأَنْهِسُهُمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)) (٤).

١- الصديق الحميم لصدام غدر به كما غدر بغيره.

٢- كان وزيراً للصناعة والمعادن.

٣- هؤلاء وغيرهم تمت تصفيتهم على مراحل عديدة، كان منها لما نحي البكر عن السلطة فقد افتuel صدام أزمة ووجه ضربة قاضية لأبرز أعضاء القيادة القطرية بعد أن شعر بتحسنه من تنحية البكر، فكانت مجزرة شملت الكثير من القياديين البعشيين والضباط والقادرون المتقى، إذ نفذ حكم الإعدام بكل من:

محمد عايش حمد، محبي عبد الحسين مشهدى، عدنان حسين عباس الحمداني، محمد محبوب مهدي الدوري، غانم عبد الجليل سعودي، خالد عبد عثمان الكبيسي، طاهر احمد أمين، وليد محمود سيرت، غازي إبراهيم أيوب، نوري حمودي أحمد، عبد الخالق إبراهيم خليل السامرائي، ماجد عبد الستار فاضل، وليد صالح محمد الجنابي، وليد إبراهيم إسماعيل الأعظمي، إبراهيم عبد علي جاسم الدليمي، بدن فاضل عرببي، إسماعيل محمود إبراهيم النجار، نافع حسين علي الكبيسي، حازم يونس عبد القادر، وخليل إبراهيم القصاب.

وقد أقام النظام محكمة أصدرت أحكاماً وصلت إلى الحكم بالسجن المؤبد على المئات غير هؤلاء:

٤- سورة التوبية: ٢٠.

أساليب التهجير

استعمل نظام البُعث العراقي عدّة وسائل وأساليب في تهجير أبناء العراق، نذكر بعضاً منها هنا وبإيجاز:

- أولاً: مداهمة بيوت المهجّرين في هدوء الليل، وبصورة همجية، مستعينين برجال الأمن المدججين بالسلاح.
- ثانياً: التحايل على المواطنين لاستدراجهم وتهجيرهم بحجة استجوابهم لمدة عشر دقائق فقط.
- ثالثاً: تهجير أعداد كبيرة من المواطنين وهم بملابس النوم.
- رابعاً: محاربة المهجّرين بطرق الحرب النفسية والإرهاب والتخويف وقذفهم بالفاظ قذرة نابعة من الانحطاط الخلقي لعلماء النظام العراقي الحاكم.
- خامساً: حجز الفتيات المسلمات من أبناء شعبنا العراقي في دائرة الأمن الإجرامية، والاعتداء عليهم بعد تهجير عوائلهن.
- سادساً: إزال المهجّرين على مسافات بعيدة عن الحدود الإيرانية، وهم حفاة وفي أراضٍ جبلية وعرة جداً، وفي ظروف جوية رديئة، ولم يسلم من حقد هم حتى الطاعنون في السن والأطفال والمرضى.
- سابعاً: مصادرة كافة الأموال المنقوله وغير المنقوله للمهجّرين ووضعها تحت تصرف أزلام السلطة.
- ثامناً: فصل الشباب الذين تتجاوز أعمارهم الثامنة عشرة عن عوائلهم المهجّرة، وحجزهم في معقلات الأمن الإرهابية، والتجنيد الإجباري لبعضهم، ومن يعارض ذلك يخضع للتعذيب الرهيب وقاموا بإعدام الكثير منهم.
- تاسعاً: وضع الألغام في طريق المهجّرين، بحيث راح ضحية ذلك العديد من الأبرياء.
- نعم، فهذه بعض التصرفات والأعمال الوحشية التي قام بها النظام ضد المهجّرين من أبناء العراق المسلم، ولا يتسع المجال إلى ذكر جميع الانتهاكات الوحشية التي اتبّعها - وما زال يتبعها - النظام مع المواطنين؛ فإنها كثيرة جداً، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها من باب التعرف على طبيعة النظام الحاكم في العراق، وليس من باب الحصر.

من أساليب النظام

تعددت أساليب النظام البُعثي الحاكم في العراق، في تعذيب معارضيه حتى فاقت جميع أساليب الأنظمة العميلة الأخرى، فذلك نظام الشاه العميل^١ (١٩٨٠-١٩١٩م) شاه إيران المخلوع (١٩٤١م) خلفاً لأبيه رضا ومستمراً في نهجه الظالم، ثار عليه ويقف لهم التهم الفارغة، مدعياً بأن هذا شيعي وذاك متآمر وهكذا؛ وذلك ليبرر للعالم والشعب بأنه أعدم أو اعتقل هؤلاء لعمالتهم (كما يدعى)، ولكن نظام البُعث العراقي تجاوز حتى هذا التعامل (أي تبرير عمله في قتل

^١- محمد رضا بهلوي (١٩١٩-١٩٨٠م) شاه إيران المخلوع (١٩٤١م) خلفاً لأبيه رضا ومستمراً في نهجه الظالم، ثار عليه الشعب، ترك البلاد (١٩٧٩م) توفي في مصر.

أبناء الشعب العراقي) فإنه يعقل ويعذب أبناء الشعب العراقي المعارضين لحكمه وعلى الشبهة والظنة، أو كل من يعد من المتدينين الإسلاميين بدون تهمة واضحة موجهة له ولو ظاهرياً، وإليكم هذا النموذج من أساليب التعامل مع المعتقليين، ينقله أحد الناجين من حبالهم، فقال:

في إحدى الليالي المظلمة داهمت عناصر النظام عدة منازل في مدينة كربلاء المقدسة، واعتقلت بعض من فيها، واستشهد إثر المداهمة البعض الآخر، وكان ضمن المعتقليين شخص يعمل في وزارة العدل، اعتقل في منتصف الليل بملابس نومه، وبحجة استجوابه لمدة عشر دقائق ذهبوا به إلى مديرية الأمن العامة، وفي الصباح تم إعدامه - أي بعد مرور أقل من (٦ ساعات) على اعتقاله - ويقول ناقد القصة، الذي كان أحد المعتقليين معه: تم اعتقالنا، وذهبوا بنا إلى بغداد ووضعونا في غرفة لكي تتم محاكمتنا، وشاهدت الذين اعتقلوا معنا في السجن، ولقد عرفت الكثير منهم، ثم سالت عن السبب الذي جاء بنا إلى هنا؟
قالوا: لأجل محاكمتكم.

كنا أربعاً وأربعين شخصاً، وضعونا في غرفة، وأغلقوا الباب علينا، وكان الحاكم جالساً فسأل الحاكم شخصاً يدعى حسين الدلال: ما اسمك؟

قال: حسين.

ما هو لقبك؟

قال: الدلال.

قال: أين تسكن؟

قال: كربلاء.

قال: ما هو عملك؟

قال: وكيل لوزارة العدل.

فأصدر الحاكم حكم الإعدام الفوري بحقه بعد انتهاءه من هذه الأسئلة!!

ثم اقتيد من قبل ثلاثة من رجال الأمن وذهبوا لتنفيذ حكم الإعدام به.

ثم جاء دوري للتحقيق معي، فسألني الحاكم: ما اسمك؟

وما لقبك؟

وأين تسكن؟

وما هو عملك؟

وبعد استجوابي أمر بإطلاق سراحي، بعد أن أجبت عن هذه الأسئلة، وأخرجوني من باب ثان للسجن.

ويذكر - الرواية - سبب نجاته من حكم الإعدام فقال: بعد سماع خبر اعتقاله في منتصف الليل، من قبل والد زوجتي، الذي كان شخصاً ثرياً من سكناً كربلاء، ذهب إلى بغداد فوراً ومعه خمسون ألف دينار، وأوصل نفسه إلى أحد الجلاوزة من أعضاء ما يسمى بمجلس قيادة الثورة، بشكل من الأشكال، وأعطى المبلغ المذكور رشوة لهم، فاتصل هؤلاء بالحاكم تلفونياً، وأمروه بإطلاق سراحي فوراً، فأصدر الحاكم العفو عني وأطلق سراحي.

نعم، هكذا يقتل أبناء الشعب على يد هؤلاء الجلاوزة بدون أي مبرر للقتل، سوى حقدهم عليه وعلى جميع الشعب وعلى الإنسانية ولها عارضهم الشعب العراقي المسلم بشكل كبير، وأعطى الشهداء في سبيل ذلك، ولم

يركز أو يستكن إلى الظلم والظلمة، بل حاربهم بكل ما يستطيع، قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ((إِنَّمَا المؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُم الصَّادِقُونَ)) ^(١).

من مأسى المهجرين

عند مطالعة بعض القصص والمأسى التي تحملها الشعب العراقي في ظل حكم هذا النظام الجائر سنعرف ولو جزئياً مقدار الظلم والانتهاكات الصارخة التي ارتكبت بحقه، ونرى لزاماً على المؤمنين نشرها في العالم أجمع وبيانها على مستوى منظمات هيئات حقوق الإنسان بالخصوص حتى تكون شاهداً وحجة مع آلاف الشواهد والحجج الأخرى على ظلم واستبداد هذا النظام.

ومن أبرز هذه المأسى والقصص مأساة التهجير والمهجرين التي نحن بصددها الآن.

فقد نقل أحد الإخوة المهجرين عن حادثة مأساوية لإحدى العوائل المهجورة، وكانت هذه العائلة تعيش في إحدى المحافظات الجنوبية في العراق، كانت عائلة متدينة ومتزمرة بالتعاليم الإسلامية، شأنها شأن أغلب العوائل العراقية، وهي مكونة من زوجين طاعنين في السن، وخمسة أبناء، مصدر معيشتهم قطعة أرض يزرعونها فتدر عليهم ما يسد رمقهم ويؤمن مصاريف أبنائهم؛ حيث إن أكبرهم شاب في مرحلة الدراسة الجامعية، وأخته طالبة في المرحلة الثانوية، وأما الآخرون فهم صغار لم يبلغوا الحلم بعد.

فكان هذا الشاب متزماً دينياً، وكان يحيث الشباب الصالحين في مجتمعهم وفي محیطهم الجامعي من الطلاب على عدم الاندماج بأفكار الحزب الحاكم المنحرفة، فيبين لهم مفاهيم الإسلام، ويحثهم على العمل بالشريعة الإسلامية، ويفضح الأعمال الإجرامية التي يقوم بها النظام ضد أبناء الشعب المسلم، مما أثار حقد جلاوزة النظام وغيظهم عليه، فعنصر كهذا يعكر عليهم صفو حياتهم الملبنة بالاحراف والجريمة فهم لا يتزكونه لحاله. لذا قاموا بفصله من الجامعة، ولم يكتفوا بذلك بل اعتقلوه وأرسلوه إلى مراكز التعذيب ليبقى هناك تحت وطأة سياط الجلايين، أما عائلته فقد تم استدعاؤها إلى مراكز المخابرات، ومن ثم تم تهجيرها إلى إيران بحجة أنها غير عراقية، فخلفت وراءها ابنها الشاب في سجون النظام، وسكنت هذه العائلة بعد تهجيرها إحدى المناطق الحدودية في إيران، وبعد أن شن هذا النظام حربه على إيران ودخل المناطق الحدودية الإيرانية، كان من ضمن تلك المناطق الحدودية التي احتلها النظام المنطقة التي تسكنها هذه العائلة، وكعادة النظام عندما يدخل أو يسيطر على أي شيء يحاول تدميره، فدمر هذه المنطقة وقتل بعض أبنائها وأسر البعض الآخر، وكان ضمن الأسرى هذه العائلة المنكوبة، وبعد التحقيق معها في بغداد تبين لجلاوزة النظام أن هذه العائلة هي مهجرة سابقاً، وبعد حجزها عدة أشهر تم تسفيرها إلى إيران مرة ثانية، ولكن بعد أن أحذوا منها ابنتها الشابة هذه المرة، وهكذا فقدت هذه العائلة فردين من أفرادها، إضافة إلى جميع ممتلكاتها من أموال وغيرها، وتعرضها

للويلات والتعذيب من قبل هذا النظام الطاغي، والكافر بكل الأعراف الإنسانية والأخلاقية، والذي لا يؤمن بالله العظيم ولا باليوم الآخر.

نحن عراقيون

وهذه قصة أخرى بل صورة عن مأساة التهجير يرويها أحد المهجرين، نذكرها باختصار: يقول المهجر: اكتب قصة تهجيرنا بأمانة وإخلاص دون ذكر اسمى ومكانى، لا خوفاً من أحد بل خوفاً على أولئك الناس الطيبين الذين رفضوا الظلم ولم تكن لديهم الشجاعة لنصرة الحق، ولأسباب أمنية معروفة للجميع في عراق الظل والإرهاب، ويبقى أملنا بالعودة كبير، ويكبر كلما زادت سنين الغربة كما يشتق الزرع للنبع كلما زاد العطش.

هكذا نحن جمِيعاً وبلا استثناء نحن المهجر: أبناء دجلة والفرات، ونحن على أتم استعداد لأن نموت من أجل كرامة شعبنا ووطنه إذا ما أراد له الأعداء شرّاً، نضحي من أجله بكل الوسائل الممكنة حتى لو منعنا من دخوله عندما يكون الأمر حق.

تبليغت بضرورة الحضور أمام ضابط الجنسية وذلك من قبل إدارة مدرستي التي أعمل فيها، وبعد مراجعتي للضابط المذكور وجه لي بعض الأسئلة ومن جملتها من من أهلك تم تهجيرهم؟
فأجبته: بأن والدي البالغ من العمر (٧٠ عاماً) هجر مع جملة التجار الذين بدأت حملة التهجير الظالم بهم.
ثم سألني: ما عندك من مستمسكات عراقية؟

فقلت له: إخلاصي للوطن وحبي لأبناء بلدي ومعاداتي للاستعمار وقبور أجدادي. قال: وغير ذلك؟ ففتحت حقيبتي اليدوية وأخرجت له ما عندي من المستمسكات وهي: جواز السفر العراقي العائد لي ولأفراد عائلتي، بطاقات الأحوال المدنية، دفتر إكمال الخدمة العسكرية، ونسخة من ورقة رسمية إقرار بالتملك العقاري (ورقة الطابو لبيتي) وضعت الجميع أمامه.

مذ يده لأخذها ثم نظر إلى وارتبك الرجل ولم لم وبسرعة جميع المستمسكات ووضعها داخل مظروف، وكتب اسمى عليه وقال: أستاذ الان هي الحادية عشر ظهراً، مادا تقول إن تأتي الساعة الثانية بعد الظهر إلى البيت؛ لأنك شملت وعائلتك بقرار التهجير لإيران؟

فأجبته: أخي، لا اعتقد أن الساعات الثلاث كافية لأودع بها أهلي وجيراني وتلاميذي وزملائي وأصدقاء الطفولة، والأهم من كل ذلك إنها لا تكفي لتقبيل كل شبر داسته قدماي من أرض الوطن، ثم كيف تسمح لنفسك أن يأتوا أفرادك إلى بيتي ويأمروننا بالصعود لسياراتهم، هل تعتقد أنتا غجر؟
فرد علي: كما تريـد.

فقلت له: غداً صباحاً وفي تمام الساعة الثامنة سأكون وأفراد عائلتي جمِيعاً عندك في المكتب.
وفعلاً كان ذلك، جلبت أفراد عائلتي وجلست وزوجتي وأختي الخريجة الجديدة، وأخي طالب المعهد وأبنائي السبعة في مكتبه، وبعد أن أتم الإجراءات التي تخص تهجيرنا طلب منا أن ننتقل إلى غرفة مجاورة لمكتبه،

وقال: أنت الآن موقوفون بحكم القانون! لكن لا أستطيع أن أضعكم في غرفة التوقيف، ففضلوا في هذه الغرفة حتى المساء كي يتم تهجيركم.

بقينا حتى السادسة مساء عندما جاءنا وأخبرني فقال: بأن مسؤول الحزب يريد التحدث إليك وهو الآن يجلس عند مدير الجنسية، ذهبنا جميعاً ودخلنا حيث يجلسون وبدأ الحديث والأسئلة والاستفسارات، ومن جملتها سأله قائلًا: أخي ماذا تقول إن لقبك عربي، وإن هذا من الألقاب العربية والمصنفة ضمن سجلاتنا؟
فقلت له: إذا كان كذلك فلماذا هجرتم والدي ومن بعده أفراد عائلته، ألم يكن لقبهم عربياً وعرائياً؟
وإذا كنتم تعرفون ذلك فلماذا أنجزتم معاملة تهجيرنا؟

الحقيقة أنا لا أعرف بأي قانون تحكمون الناس، وما هو معيار المواطنـة!!

هل الوثائق التي يحملها؟ فإن جميع مستمسكـاتنا العراقـية بين أيديكم.

وإذا كان معيار المواطنـة هو الولـاء للوطن فإن ابنتـي الصغـيرة (٧ سنوات) والتي تجلس هي أكثر وطنـية منك أيـها الرـفيق.

عندـها قاطـعني هذا الرـفيق مـتأثـراً من كلامـي، قـائلـاً: كـيف أنها أـكثر وطنـية منـي وـهي في الصـف الأول الـابتـدائـي؟!

قلـت لهـ: كـن على ثـقة لوـ أنـ الأمرـ معـكوسـ عـلـيكـ لـماـ تـذـكـرـتـ تـرـابـ الـوطـنـ كـماـ هـيـ تـذـكـرـتـهـ، وـطـلـبـتـ منـ اـبـنـيـ النـاجـحةـ لـلـصـفـ الثـانـيـ الـابتـدائـيـ أـنـ تـشـتـتـ لـلـرـفـيقـ اـدـعـائـيـ.

فـتكلـمـتـ بـهـدوـنـهـ وـخـجلـهـ الـمعـهـودـينـ - وـبـالـلـهـجـةـ الـعـراـقـيـةـ الدـارـجـةـ - فـقـالـتـ: عـمـوـ الصـبـحـ وـاحـدـاـنـ نـفـطـرـ فـكـرـتـ اـشـلـونـ رـاحـ انـعـوفـ بـيـتـنـاـ وـأـرـضـنـاـ وـبـلـدـنـاـ، فـكـمـتـ وـجـبـتـ كـيسـ نـاـيـلـوـنـ صـغـيرـ وـخـلـيـتـ بـيـهـ تـرـابـ مـنـ كـاعـ حـدـيقـتـاـ حـتـىـ إـذـاـ رـاحـتـ إـلـىـ إـيـرانـ أـصـلـ أـبـوـسـ بـيـهـ، وـبـعـدـيـنـ كـلـتـ لـأـبـوـيـهـ كـامـ بـيـوسـ بـيـهـ وـبـيـجيـ.

ماـ اـنـ اـنـتـهـتـ اـبـنـيـ مـنـ حـدـيثـهاـ حـتـىـ ظـهـرـ جـلـوزـةـ النـظـامـ تـأـثـرـهـمـ الواـضـحـ أوـ لـعـهـ وـكـمـ يـقـالـ دـمـوعـ تـمـاسـيـحـ.
ثـمـ عـادـ هـذـاـ الرـفـيقـ مـسـؤـولـ الـحزـبـ إـلـىـ مـكـانـهـ، وـقـالـ بـالـحـرـفـ الـواـحـدـ: وـالـلـهـ يـاـ أـخـيـ، هـذـيـ أـوـامـرـ، وـكـلـشـ زـينـ نـعـرـفـكـ، عـرـاقـيـ وـمـوـاـطـنـ شـرـيفـ لـاـكـنـ مـنـكـرـ إـنـكـوـلـ: لـاـ، وـأـنـتـ تـعـرـفـ قـصـدـيـ.

فـأـجـبـتـهـ: لـوـ كـنـتـ مـكـانـكـ لـقـلـتـ: لـاـ وـأـلـفـ لـاـ، لـوـ كـلـ شـرـيفـ يـقـولـ لـلـخـطاـ: لـاـ لـمـ اـسـتـمـرـ الـظـلـمـ.

... اـقـرـبـتـ السـاعـةـ مـنـ السـابـعـةـ وـالـرـبـيعـ مـسـاءـ حـيـثـ رـنـ جـرـسـ التـلـفـونـ، فـرـدـ عـلـيـهـ الضـابـطـ وـلـمـ نـسـمـعـ سـوـىـ
نـعـمـ سـيـديـ جـاهـزـينـ وـخـمـسـ دـقـائقـ يـكـونـونـ عـنـدـكـ.

بعد اـنـتـهـاءـ المـكـالـمةـ طـلـبـ مـنـ الضـابـطـ النـزـولـ وـالتـوـجـهـ إـلـىـ سـيـارـةـ كـانـتـ مـعـدـةـ لـنـاـ خـارـجـ الـدـائـرـةـ، صـدـنـاـ وـكـانـ
لـفـيفـ مـنـ الـأـهـلـ وـالـأـقـارـبـ وـالـأـصـدـقـاءـ يـنـتـظـرـوـنـاـ لـلـتـوـدـيـعـ مـنـ بـعـيدـ، نـقـلـنـاـ إـلـىـ دـائـرـةـ أـخـرـىـ قـرـيـبـةـ مـنـ مدـيـرـيـةـ
الـجـنـسـيـةـ وـدـخـلـنـاـ إـلـىـ غـرـفـةـ كـانـتـ تـنـتـظـرـنـاـ فـيـهـاـ لـجـنـةـ حـزـبـيـةـ وـضـابـطـ شـرـطـةـ بـرـتـبـةـ كـبـيرـةـ، وـضـابـطـ عـسـكـرـيـانـ
وـأـمـرـاتـانـ، جـلـسـتـ بـعـدـ أـدـاءـ السـلـامـ، وـمـنـ مـعـيـ بـقـيـ وـاقـفـاـ لـضـيقـ الـمـكـانـ، وـضـعـواـ أـمـامـيـ وـرـقـةـ طـلـبـواـ وـضـعـ بـصـمةـ
إـبـهـامـيـ عـلـيـهـاـ، فـفـعـلـتـ دـوـنـ أـنـ أـقـرـأـهـاـ، أـخـرـجـ أـحـدـهـمـ أـورـاقـاـ نـقـيـةـ مـنـ حـقـيـبـتـهـ وـطـلـبـ مـنـ إـسـتـلـامـهـاـ، وـقـلـتـ: هـذـهـ
هـدـيـةـ الـحـزـبـ وـالـثـوـرـةـ!! فـرـفـضـتـ إـسـتـلـامـهـاـ، وـقـلـتـ لـهـ: مـاـ هـيـ الـمـنـاسـبـةـ الـتـيـ يـوزـعـ الـحـزـبـ فـيـهـاـ هـدـيـاـهـ؟

فـقـالـ: يـاـ أـخـيـ خـذـهـاـ أـرـجـوـكـ؛ لـأـنـكـ سـتـذـهـبـ إـلـىـ مـكـانـ غـرـبـ لـاـ تـعـرـفـ عـنـهـ شـيـئـاـ، وـعـنـدـكـ عـائـلـةـ كـبـيرـةـ!!.

فـأـجـبـتـهـ: إـذـاـ كـنـتـ حـقـاـ تـؤـكـدـ بـأـنـهـ بـلـدـ غـرـبـ فـلـمـاـ تـقـلـعـوـنـاـ مـنـ بـلـدـنـاـ وـتـرـسـلـوـنـاـ إـلـيـهـ؟ـ هـلـ قـدـمـنـاـ لـكـمـ طـلـبـاـ بـذـلـكـ؟

فأجاب كبيرهم: يا أخي متعرف ما نقدر خالف الأوامر فأرجوك أن تأخذ هذا المبلغ البسيط.

فسألته: كم هو المبلغ؟

فأجاب: بما أن عائلتك كبيرة وعددكم (١١ شخصاً) فقد قررنا إعطائكم (٥٠٠ دينار).

فقلت له: حسناً لقد استلمت المبلغ لأنني وقت وصل الاستسلام، فأرجو استلام المبلغ مني واعتباره تبرعاً من عائلتي لمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم استدركت قائلًا: أو لآلية جبهة أو منظمة فلسطينية ترثونها؛ لأن علاقة العراق حينذاك لم تكن ودية مع منظمة التحرير.

وهنا ثارت ثائرة الرفيق المسؤول فقال بغضب: أخي شنو هذا الكلام؟

فقلت له: نحن المهجرين وإخواننا الفلسطينيين وجهان لعملة واحدة، الفلسطينيون هجرتهم العصابات الصهيونية ونحن هجرنا من قبلكم، ولا أقبل هذا المبلغ البسيط بدل قيمة أرض آبائي وأجدادي؛ فليس للأرض والوطن ثمن غير دم الإنسان، ولا تحلو لي جنان الدنيا كلها مثل ما يحلو لي ذلك القبر المظلوم المدروس في ثيبة من ثنايا أرض وطني الحبيب، عندها خيم على الجميع السكون ثم أطروا بروؤسهم، أما المرأتان فكان نحبيهما مسموعاً، اقترح الرجل المسؤول أن أقبل المبلغ وأتبرع فيه إلى المنظمة في طهران، وبعدأخذ ورد قبلت المبلغ. وبعد ذلك أخذونا بعد أن احتجزوا أخي عندهم وفرقوا عنا؛ لأن أخي يبلغ من العمر عشرون عاماً، وقالوا: حسب الأوامر إنه لن يهجر معكم بل ياحتجز. ولما سمع أولادي ذلك ولشدة تعليقهم به أجهشا بالبكاء.

خرجنا من هذه الدائرة حيث نقلونا إلى أحد مراكز الشرطة وهنا أحسست بتوتر شديد ومرارة كبيرة ملأت نفوسنا، وبعد مرور ساعات قضتها الأولاد نوماً على أرض ممر مركز الشرطة والكبار سكنت شفاههم عن الحركة، وكل منا ينظر إلى وجه الآخر ولسان حالنا يقول: قاتل الله الظلم هل نحن في حلم؟ هل حقيقة أتنا نفترش الأرض وعندنا الكثير من البيوت؟ فلماذا نعامل هكذا ونحن العائلة العريقة المعروفة بكل فضيلة؟ لماذا يصل الحقد بالحاكم الجائر لهذه الدرجة؟

صارت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وأخبرونا بأن السيارة جاهزة لنقلكم إلى الحدود الإيرانية، وكانت من النوع الذي يخصص لنقل المجرمين ذات الحاجز المشبك من الداخل، حيث يفصل المجرم عن طاقم الحرس المأمورين، وهنا جن جنون زوجتي والتي كانت في الأيام الأخيرة لوضع مولودها، فصرخت وبعصبية قائلة: ألا تخجلوا من أنفسكم لتنقلونا بمثل هذه السيارة هل نحن مجرمين؟

لم تجد إجابة لسؤالها شافية.

اخترقت السيارة شوارع مدینتنا ونحن نمر من أمام بيوت أهلنا وأصدقائنا، نودعهم وهم نياً لا يعرفون بأن هناك عائلة لها جذورها في هذه الأرض قد اقتلعت، وهي محمولة في سيارة حقيرة لقذفها خارج حدود الوطن. وبعد مسيرة طويلة استغرقت أربع ساعات ونصف وصلنا المخفر الحدودي، لم يتم بقاونا عند المخفر أكثر من ربع ساعة حيث ودعنا آخر قطعة أرض من الوطن ونحن نحمل ذكريات اللوعة والحزن على فعل بنا هذا النظام الذي ابتلى به العراق. وكانت المسافة بين المخفر الحدودي والخط الدولي الفاصل (٥٠٠ متر) تقريباً، جلسنا عند شاخصة إسمانية كتب على وجه منها العراق وعلى الوجه الآخر إيران، ونحن لا نعرف هل نحن ولدنا في الهواء؟!

طلعت علينا شمس تموز من خلف جبال إيران لتشهد المأساة، مأساة أم حامل في أيامها الأخيرة وأطفال

أبرياء بعمر الزهور قد صاق بهم هذا الكوكب الواسع، مرت ساعة وساعتان وثلاث حتى اتصف النهار، ولا أحد من شرطة الحدود الإيرانية يأتي لنقلنا، واشتدت حرارة الشمس ولم يكن في المكان شجرة أو شيئاً نستظل به، جمعت الأم أولادها الصغار وكان أكبرهم يبلغ من العمر (١٣ عاماً) جمعتهم تحت عباتها وبدأت تقص لهم قصصاً قصيرة وهي يائسة خائرة القوى، عسى أن تنتهي وتبعد عنهم الخوف من المصير المجهول الذي ينتظرون، طلبت ابنتي الصغيرة قليلاً من الماء، فعندما أردت سكب الماء لها فوجئت بنفاده، حيث كان معنا قربة صغيرة فيها قليل من الماء نزل منها ما يكفي لتبليل الشفاه فقط، عندها رفضت الصغيرة وبإصرار على أن لا تشربه، فسألتها لماذا؟ فأجبتني: إذا شربت الماء فماذا يبقى لأخواني الصغار إذا عطشوا. لقد أثر هذا الموقف بدني كثيراً وأحسست بأن الموت قادم لنا جميعاً.

عندما أخذت اثنين من بناتي الصغيرات واتجهت بهم صوب مخفرنا سابقاً - أي: المخفر الحدودي العراقي - وأنا ألوح بقطعة قماش كنت أقي بها طفتي من حرارة الشمس، ألوح بها لأفراد المخفر؛ عسى أن يقدموا نحونا لإسعافنا بقليل من الماء، تابعنا نحونـا نحن الثلاثة مسيرنا نحوهم ونحن منهكـي القوى، وأخذ العطش والتعب والخوف من المجهول مما مأخذـه، حتى شاهدنا ثلاثة عسكريـن يتقدموـن نحوـنا، فالتقينا قريباً من المخفر وكان أحدهـم ضابـط المخـفر والـاثنان في حراستـه، سـالـنـي الضـابـط وكـانـ الـحـرجـ وـاضـحاـ عـلـيـهـ: لـمـاـذاـ وـكـيفـ دـخـلـتـ الـأـرـضـيـ العـرـاقـيـ؟ لـدـيـنـاـ أوـامـرـ منـ الرـئـيـسـ صـدـامـ بـأنـ نـطـلـقـ النـارـ عـلـيـكـ وـعـلـىـ بـنـاتـكـ وـنـقـتـلـكـ؟ يـقـضـدـ تـنـفـيـذـ التـأـكـيدـ الـوارـدـ فـيـ البرـقـيـةـ السـرـيـةـ لـوزـيرـ الدـاخـلـيـةـ، وـالـمـوـجـهـةـ إـلـىـ الـأـجـهـزـةـ الـأـمـنـيـةـ بـخـصـوصـ عـلـيـةـ تـهـجـيرـ الـمـوـاطـنـيـنـ المـرـفـقـةـ (٢٨٨٤ فـيـ ١٩٨٨/٤/١٠) حـيـثـ جـاءـ فـيـ ذـيـلـ هـذـهـ الـبـرـقـيـةـ: (نـؤـكـدـ أـمـرـنـاـ فـيـ فـتـحـ النـارـ عـلـىـ مـنـ يـحـاـوـلـ العـودـةـ إـلـىـ الـأـرـضـيـ العـرـاقـيـةـ مـنـ الـمـهـرـيـنـ).

صرخت الطفلتان وطوقـتـيـ بأـنـ رـعـهـمـ مـذـعـرـتـيـ ثـمـ تـرـكـتـيـ إـحـدـاهـاـ وـأـمـسـكـتـ بـالـضـابـطـ مـتوـسـلـةـ وـهـيـ تصـرـخـ: لـاـ، لـاـ تـقـتـلـنـاـ نـحـنـ عـرـاقـيـوـنـ. ثـمـ تـابـعـ الضـابـطـ كـلـمـهـ فـقـالـ: أـنـاـ آـلـآنـ مـرـاقـبـ وـمـسـؤـلـ لـعـدـمـ تـنـفـيـذـ أـمـرـ إـطـلاقـ النـارـ عـلـيـكـمـ. فـأـجـبـتـهـ: إـنـ عـطـشـ سـيـقـتـلـ أـلـاـدـيـ. فـقـالـ: هـمـ سـبـعـةـ لـيـمـتـ مـنـهـمـ اـثـنـانـ، أـمـسـ كـانـ عـائـلـةـ مـاتـ مـنـهـمـ رـجـلـ مـسـنـ وـطـفـلـ رـضـيعـ دـفـعـهـمـ أـهـلـهـمـ هـنـاكـ!!

قال ذلك وكأنه يتحدث عن نعاج نفقت، قلت له: ألا تتحمل المسؤلية من أجل أبنائي؟

قال: لا.

قلت: لو كنت مكانك لصحيـتـ بـأـبـنـائـيـ السـبـعـةـ مـنـ أـجـلـ إنـقـاذـ طـفـلـ منـ أـطـفالـكـ، وـأـتـحدـىـ كـلـ قـوـانـينـ الـظـلـمـ مـنـ أـجـلـ موقفـ إـنـسـانـيـ، فـطـلـبـ مـنـ الطـفـلـتـيـنـ السـيـرـ خـلفـهـمـ بـعـدـ أـنـ طـالـبـنـيـ بـالـرـجـوعـ بـالـسـيـرـ حيثـ تـجـلسـ عـائـلـتـيـ، فـزـوـدـواـ الطـفـلـتـانـ بـالـمـاءـ وـعـنـدـمـاـ عـادـتـاـ قـالـتـاـ لـيـ: إـنـ الجـنـوـدـ قـالـوـ لـهـمـاـ: إـذـاـ بـقـيـتـ عـلـىـ الـحـدـودـ إـلـىـ اللـيـلـ تـعـالـوـاـ لـنـاـ خـلـسـةـ كـيـ نـزـوـدـكـمـ بـالـغـذـاءـ وـالـمـاءـ، وـكـوـنـوـاـ حـذـرـيـنـ أـنـ لـاـ يـرـاـكـمـ ضـابـطـ المـخـفرـ. عـادـتـ الطـفـلـتـانـ تـحـمـلـانـ الـمـاءـ، فـشـرـبـ الـجـمـيعـ دـوـنـ تـبـذـيرـ.

طال انتظارـنـاـ وـخـيمـ الـيـأسـ عـلـىـ نـفـوسـنـاـ وـنـحـنـ بـاـنـتـظـارـ حدـوثـ المعـجزـةـ.

وـبـعـدـ يـاـسـ كـبـيرـ قـرـرـتـ أـنـ أـسـيـرـ دـاـخـلـ الـأـرـاضـيـ الـإـرـانـيـةـ وـاـسـتـمـرـ بـالـسـيـرـ مـهـمـاـ طـالـ الـطـرـيـقـ؛ عـسـىـ أـنـ اـصـلـ إـلـىـ قـرـيـةـ أـوـ جـمـاعـةـ أـوـ مـخـفـرـ، سـرـتـ وـبـصـعـوبـةـ بـالـغـةـ، فـقـدـ أـخـذـ الـأـمـرـ مـنـيـ مـاـخـذـهـ، وـبـعـدـ أـنـ قـطـعـتـ مـسـافـةـ طـوـيـلـةـ استـغـرـقـتـ سـاعـةـ وـنـصـفـ وـإـذـ بـأـرـبـعـةـ شـبـابـ يـنـزـلـوـنـ وـبـسـرـعـةـ فـانـقـةـ مـنـ قـمـةـ جـبـلـ مـتـوـسـطـ الـاـرـتـفـاعـ مـتـجـهـيـنـ نحوـيـ

يحملون البنادق الرشاشة، وفهمت منهم أن أقف وأرفع يدي ففعلت، وقاموا بتفتيشي وبعد التأكد سألوني وأفهمتم بأنني لا أعرف ما يقولون ولحسن الحظ كان من بينهم جندياً يعرف اللغة العربية من عبادان فترجم لهم أقوالي، بعدها اتصلوا بجهاز اللاسلكي وطلبوا على الفور سيارة تنقلنا إلى إيران.

لا تتكلموا، هذه أوامر صدام!

وهذه قصة أخرى يرويها أحد المهجريين من الذين عانوا من جريمة التهجير وذاقوا ظلم ومرارة نظام العفالقة، فيقول:

بدون سابق إنذار فوجئنا بمسلحين يطربقون بباب بيتنا، ووقتها كنت وأمي وأخوتي الثلاثة وأختي الصغيرة جالسين نتناول طعام الغداء، ففرغنا جميعاً من شدة الطرق على الباب، وأسرعت لفتح الباب، فاقتصر رجال مسلحون الدار دون استذنان، وهددوا الجميع بعدم القيام بأية حركة، ثم أخبرونا بضرورة الإسراع وتهيئة أنفسنا للذهاب معهم إلى مركز الشرطة، حيث سيتم تهجيرنا إلى إيران، صعقنا جميعاً لهذا الخبر، وأخبرناهم بأننا عراقيون ولدينا كافة المستمسكات العراقية، وقد ولدنا وآباؤنا وأجدادنا في العراق، وليس لنا أي وثائق تربطنا بـإيران، ولا نعرف عنها شيئاً لا من قريب ولا من بعيد، فلماذا تفطرون بأنباء الوطن هكذا؟!

فأجابونا بعصبية: لا تتكلموا؛ هذه أوامر الرئيس صدام.

اقتادونا بسيارتهم دون أن يسمحوا لنا بجلب أي شيء معنا، حتى وجبة الغداء بقيت على الأرض دون أن نكمليها، أخذونا إلى سجن رقم واحد السيئ الصيت، وفيه شاهدنا عشرات العوائل جلبوها لنفس الغرض، بقينا عدة ساعات حتى جاء دورنا للتحقيق ولم يستغرق التحقيق الصوري أكثر من (١٥ دقيقة) حيث أخذوا منا جميع المستمسكات العراقية، وبعدها نقلونا نحن الأخوة الشباب الثلاثة إلى غرفة خاصة وعزلونا عن والدي وأختي الصغيرة، وقالوا لأمي: سوف تذهبين إلى إيران وابنتك فقط وأما أولادكم سيتم حجزهم؛ لأن هذه أوامر الحكومة. فلما سمعت أمي هذا الكلام صرخت ثلاثة مرات: لا لا، وأغمي عليها، افترقا ولم نعرف عنهم شيئاً، حيث تم اقتيادنا إلى مركز شرطة في منطقة البتاوين في بغداد واحتجزنا فيه مدة (٢٠ يوماً) ثم نقلنا إلى سجن أبو غريب الرهيب، تصوروا ثلاثة أخوة يفرقونهم عن أمهم وأختهم ويدخلونهم السجن دون أي ذنب أو جرم!!! دخلنا سجن (صدام) ورأينا جميع غرف السجن الرهيب مليئة بشباب مثنا وكان عددهم يزيد على (٨٠ شخصاً)، وهؤلاء كلهم هجرت السلطة عوائلهم.

ما أن مرّ على بقائنا في السجن (٨ أيام) حتى حدث انتفاضة (١٩٨٠/٥/٥) والتي قام بها الشباب العراقي المؤمن ليعلنوا غضبهم بوجه الجنود، ولقد أضاف هذا اليوم رقماً جديداً في سجل بطولات الشعب العراقي المعروفة، تحطم كل شيء في هذا السجن وأبوابه الحديدية الداخلية القوية لم تصمد أمام عزيمتنا لأكثر من (١٠ دقائق) فقط أصبح السجن كالبحر تتلاطم فيه الأمواج، وارتباك الحرس وهرروا إلى السطح وبعد مدة قليلة وإذا بالمرؤحيات تنزل قواتاً من الحرس الجمهوري ويدعوا بإطلاق الرصاص وبشكل عشوائي علينا، وأخذوا ينادوننا بمكبرات الصوت ويدعونا إلى الهدوء وتعهدوا لنا وباسم الطاغية صدام بأنه سيتم إخلاء سبيلنا، وفعلاً وبعد

الانتفاضة بيومين تم نقنا جميعاً وعلى شكل وجبات إلى الحدود الإيرانية، أما الذين هبوا للانتفاضة فقد تم عزلهم ولا يعرف أحد عن مصيرهم شيئاً.

لن نرضى بغير العراق وطناً

وهذه قصة أخرى يرويها أحد الأشخاص كان يعمل موظفاً في مديرية التأمين على الحياة - ولم يسعفه عمله في التأمين على حياته - حيث يذكر طريقة تهجيره فيقول: عند الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم (١٩ نيسان / ١٩٨٠) وبينما كنت منهمكاً بإنجاز بعض المعاملات - التأمين على الحياة!! - اتصلت بي والذى تلفونيا وهي خاتمة القوى، وطلبت مني الحضور وبسرعة إلى البيت؛ لأن مجموعة من المسلحين دخلوا عليها وأخبروها بضرورة الذهاب معهم إلى مركز الشرطة لتهجيرها ومن معها إلى إيران.

خرجت من الدائرة بعد أن طلبت إجازة زمنية!! ولما وصلت إلى البيت وجدت أربعة أشخاص بيد كل منهم مسدساً، وكانوا في حالة تأهب وكأنهم دخلوا ليحتلوا موقعاً عسكرياً أو داراً للإذاعة، سلمت عليهم فرد على أحدهم بعبارات نابية، وطلبو مني الإسراع للذهاب معهم، فرجوتهم أن يعطوني فرصة كي أتصل بأختي الموظفة في وزارة الزراعة - زراعة بلد تطرد منه - وأختي الصغيرة في المدرسة وأخي في الصف الثاني المتوسط وولدي في الصف الأول الابتدائي؛ إذ لا يمكن أن نذهب بدونهم، وأخيراً تمكنت بعد عناء شديد من إقناعهم، ولما حضر الجميع صعدنا إلى السيارة المعدة لنا دون أن يسمحوا لنا بحمل أي شيء معنا، سوى جوازات سفرنا وهويات الأحوال المدنية ووثيقة إنهاء الخدمة العسكرية ومستمسكات ثبوتية أخرى من أجل سحبها منا - وهم ومع كل هذه المستمسكات والأوراق الثبوتية يعتبروننا غير عراقيين حسب ضوابط نظام الطاغية - وفعلاً سحبتم جميعها من قبلهم، وبعد ساعة واحدة من التحقيق السريع تم نقلنا وثلاث عوائل أخرى بواسطة إحدى السيارات إلى مخفر حدودي حيث تم تسليمنا لهم، وبعد التأكد من الأسماء الواردة في كتاب الإبعاد وضعونا على خط الحدود الفاصل بين العراق وإيران حتى جاءت سيارة تابعة إلى شرطة الحدود الإيرانية ونقلونا بها إلى مركزهم، ومن ثم وضعونا في مخيم محافظة خرم آباد.

نعم، هكذا وببساطة ودون رفة جفن واحدة هجرنا من بلدنا الذي ولدنا فيه نحن آباءنا وأجدادنا، وفرقوا أختي عن خطيبها، وزوجتي عن أمها وأبيها، وصادروا كل ما عندنا حتى بيتنا الذي أكملنا بناءه قبل التهجير بستة أشهر والذي كلفنا جهد العمر.

لقد تم تهجيرنا بهذه الصورة الإنسانية رغم كل ما نحمله من مستمسكات ثبوتية عراقية ورغم ولادتنا المضاعفة حيث ولادة جدي في العراق عام (١٨٨١م) وولادة أبي عام (١٩١٥م) وولادي وولادة أبني جميعاً ولا نعرف وطناً غير العراق، ولن نرضى بغير العراق وطناً لنا مهما طال الزمن ومهما طال عمر الظالم.

تهجير التجار غيلة

أما قضية تهجير التجار الجماعية فكما يرويها أحد التجار فيقول:

قامت غرف التجارة في بغداد وبقية المحافظات بتوجيهه دعوة رسمية تم بها استدعاء كبار تجار الشيعة لاجتماع عاجل، بحجة التباحث والتداول والتشاور في بعض الأمور الاقتصادية بهدف حل أزمة المواد المعيشية التي استعانت على الدولة.

وهكذا ما أن وصل التجار إلى أمكنة الاجتماعات المزعومة، أصيروا بالذهول لهول الصدمة؛ إذ تم اعتقالهم فوراً والاستيلاء على سياراتهم التي قدموا بها، وإذا بهم بعد دقائق داخل قفص محكم الطوق من قبل أزلام الطاغية من أفراد الأمن والاستخبارات وغيرهم. وانهم وقعوا في مكيدة خبيثة خسيسة نصبها لهم الطاغية. وقبل أن يفيقوا من صدمتهم اقتيدوا بسيارات أعدت لهم خصيصاً إلى مديريات أمن المحافظات وسط إجراءات إرهابية، حيث أفرغت جيوبهم من كل محتوياتها، كالنقود والأوراق الخاصة والأوراق الثبوتية والصكوك والمفاتيح ودفاتر الهاتف، وأجري لكل منهم تحقيقاً سريعاً حيث أخذوا منهم المعلومات مثل: الاسم، العنوان، الرصيد في البنك، الأموال المنقوله وغير المنقوله، المحلات والتجار الذين يتعاملون معهم، عدد الأبناء والأخوة وعنوانهم وعنوانين الأقارب حتى الدرجة الرابعة، وبعد الانتهاء من كل هذه الإجراءات الإرهابية سيقوا جماعات جماعات، وتحت حراسة مشددة إلى الحدود، فرموا بالعراء وأمروا بالسير نحو الأرضي الإيرانية، بعدها أبلغوهم بأنهم غير مرغوب في وجودهم في البلد؛ لأنهم - حسب زعم الطغاة - عجم!!! ويجب أن يعودوا إلى بلادهم، وأنذروهم بأن أي شخص يحاول العودة إلى الوطن، أو يتتردد في الحركة إلى إيران فإن النار ستطلق عليه بدون إنذار.

وهكذا تمت مرحلة من مراحل جريمة التهجير المقترنة بکوابيس الإرهاب والرعب المسلمين العراقيين من شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث جرى بها تشريد شعب كامل وتغيير بنائه السكاني ضمن مخطط شرير تكمن في أساسه عقدة الخوف من الشعب ذاته.

تهجير آلاف العوائل

وبعد مدة قصيرة جداً من ترحيل التجار، ودون سابق إنذار وطوال أيام مريرة واجهت آلاف الأسر العراقية البريئة محنَّة التهجير القسرية، جريمة جناها الطغاة ترسِّخاً لسياسة الإرهاب والتمييز القومي والطائفي، حيث تمت مداهمة بيوت الآمنين من قبل قوات الأمن والشرطة ومرتزقة الجيش الشعبي والأجهزة القمعية الأخرى، روعت النساء والأطفال وأهانت الأمهات والأباء الذين انتزعوا من أسرتهم وأخرجوا من بيوتهم بالقوة والإكراه بما عليهم من ملابس، بعد أن جردوا من كل ممتلكاتهم ومقتنياتهم كالنقود والمصوغات، وتم الاستيلاء على أملاكهم من العقارات والأراضي والبساتين بحجة أنها غنائم، ومنعوا من سحب الأموال من المصارف، كما منعوا من إعطاء وكالات لبعض من - لعله يقبل أن - ينوب عنهم في سبيل تصفية أمورهم المادية، وحرم عليهم

أخذ أي زاد أو متع أو اصطحاب أبسط حاجياتهم، وحرروا بأن كل من يخفي في ملابسه مالاً أو ذهباً سوف يقتل بتهمة سرقة أموال الدولة!.

وبعد ذلك تم عزل الأبناء والأخوة من الشبان الذين تتراوح أعمارهم ما بين (١٦ - ٢٨) سنة واحتجازهم، ثم حشرت الأسر المنكوبة من رجال ونساء وأطفال بسيارات شحن، انطلقت بهم إلى الحدود في ساعات الفجر الأولى، وتركوا في البرد والعراء تحت طائلة التهديد باطلاق النار عليهم حتى الموت إن تلکوا في المسير، أو حاولوا العودة إلى وطنهم، وأجبروا على السير على الأقدام باتجاه إيران، وأمرروا أن يعبروا الخط الفاصل بين الدولتين، عبر مناطق جبلية وعرة غير مأهولة، في ظفـر قاس وسط الثلوج وفي ظروف صعبة، وهم في أشد حالات التعب والإرهاـق والخوف.

أكراد العراق

يتوزع الأكراد فيما بين العراق وإيران وتركيا وسوريا ومناطق أخرى من العالم، ويبلغ تعدادهم - حسب بعض الإحصاءات - (٢٥ مليون نسمة) تقريباً موزعين بين هذه البلدان، وأكراد العراق وأسوأ بآخوانهم من أفراد الشعب العراقي المظلوم عانوا ما عانوا من النظام الحاكم في العراق.

جرائم النظام الحاكم بحق الأخوة الأكراد العراقيين هي مما لا يمكن حصره بهذه الكلمات القليلة؛ وقد شاطروا إخوانهم الشيعة بما وقع عليهم من الظلم والاضطهاد بكافة أشكاله، فقد ارتكب النظام أبشع الجرائم وأشد أنواع الاضطهاد العنصري البغيض ضدهم؛ إضافة للسجن والتعذيب والتهجير مورس بحقهم ما يعرف بحملات التعريب، حيث قام جلاوزة السلطة الحاكمة وبأوامر من رأس النظام بتهجير الأكراد من مدنهم وقرائهم إلى مدن وقرى في جنوب ووسط العراق، وإسكان العرب مكانهم بعد تقديم إغراءات كبيرة لهم، وعند إسكانهم في مناطق العرب تم وضعهم في ظروف معيشية مهينة مجررين على امتهان أدنى الأعمال في سبيل سد رمق أطفالهم وعيالهم، كما كان يقوم أفراد الحزب الحاكم بالضغط على الأكراد في سبيل تغيير قوميتهم وإغراقهم بالانتساب إلى القومية العربية، كما قام النظام الحاكم بإصدار الأوامر لجيشه بحرق قرى كردية بأكملها وأبادتها عن بكرة أبيها، لمجرد إظهار أي نوع من أنواع المعارضة للنظام أو الاحتجاج على أساليبه، وهذا كله مخطط له ومنسق مع أسياد النظام من الاستعمار الذين أتوا به ليحكم العراق.

جريمة حلبة

لعل من أبشع الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب الكردي هي جريمة ضرب مدينة حلبة الكردية بالأسلحة الكيماوية، حيث قام النظام بجريمتـه هذه قبل نهاية الحرب التي شنتها نظام العفالقة على إيران، وذلك عندما أشيع للنظام بأن القوات الإيرانية ستدخل مدينة حلبة بمعونة الأكراد عندها أصدر صدام أوامرـه بضرب المدينة

الآمنة بالأسلحة الكيماوية والغازات السامة، فقتل ما لا يقل عن (٥٠٠٠) مواطن كردي أعزل من السلاح، بينهم مئات الأطفال والشيوخ والنساء الذين لا ذنب لهم، وتعتبر هذه الجريمة من سلسلة الجرائم التي ارتكبت بحق أبناء هذا الشعب بعربيه وأكراده وسائر قومياته (١).

كما تبعتها سلسلة من الجرائم الخطيرة ضد الأكراد، تمثلت في هدم عدة قرى كردية ومسحها عن وجه الأرض بحجارة أنها تقع على الحدود مع إيران، وقام نظام صدام بقتل الآلاف من الأكراد في عمليات تعرف بالأنفال سيئة الصيت، هذا فضلاً عن استمرار سياسة التطهير العرقي بحق الأكراد الساكنين في المدن الكردية، وبخاصة من مدينة كركوك عبر اتباع نهج عنصري إجرامي في سبيل تغيير قومية الأكراد (٢).

١- وتمت هذه الجريمة بواسطة قائد المنطقة الشمالية من قبل نظام العقالة وهو المسمى (علي حسن المجيد) الذي اشتهر بعد هذه الجريمة باسم (علي كيماوي) وقد صور له فلم فيديو يوثق تهديده بضرب الأكراد بالأسلحة الكيماوية.

٢- أصدرت (١٤٣) منظمة وجمعية كردية وعربية متمركزة في بلدان عديدة، بياناً شجبت فيه الشركات والمؤسسات الألمانية التي زودت النظام العراقي بالغازات الكيماوية السامة، وطالبت الحكومة الألمانية بتعويض ذوي الضحايا وإعادة بناء حلبة وتنظيف البينة الكردستانية من الآثار السلبية للأسلحة الكيماوية. وفيما يلي ذكر فقرات من البيان:

في ذكرى قصف مدينة حلبة بالأسلحة الكيماوية من قبل النظام العراقي نطالب:

أولاً: بما أن أكثرية الشركات التي ساعدت نظام صدام في صنع وتخزين الأسلحة الكيماوية، كانت شركات ألمانية، لذا نطالب الحكومة الألمانية بـ:

تعويض الأضرار الجسدية، النفسية والمادية لضحايا القصف الكيميائي في مدينة حلبة وبباقي مناطق كردستان التي تعرضت للقصف بالأسلحة الكيماوية من قبل النظام العراقي، والتي يصل تعدادها إلى نحو (٧٥) قرية ومنطقة وموقع.

تنظيف البينة الكردستانية من الآثار السلبية للأسلحة الكيماوية.

إعادة بناء مدينة حلبة بالكامل.

ثانياً: نساند جهود الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني والبرلمان الأوروبي ونطالب المجتمع الدولي بإنشاء محكمة دولية لمحاكمة مجرمي الحرب العراقيين من أمثال صدام وحاشيته، وذلك لارتكابهم الجرائم التالية بحق الشعب العراقي والشعب الكردي على وجه الخصوص.

قصف مدينة حلبة بالأسلحة الكيماوية بتاريخ (١٩٨٨/٣/١٦) وقتل (٥٠٠٠) مواطن كردي في هذه المدينة من الأطفال والنساء والشيوخ.

قتل وإنفاء أثر (١٨٢٠٠) مواطن كردي من الأطفال والنساء والشيوخ في عمليات الأنفال، وذلك خلال شهر شباط إلى أيلول من عام (١٩٨٨) م.

طرد نحو (٣٠٠٠٠) مواطن كردي فيلي - الشيعة - إلى إيران وحجز أموالهم المنقوله وغير المنقوله وحجز نحو (١٠٠٠٠) شاب كردي فيلي كرهان، وذلك خلال سنوات (١٩٨٢-١٩٧٠).

إنفاء أثر (٨٠٠٠) مواطن كردي (ذكور) من عشيرة بارزان الساكنين في مجمع (قوشتبه) القسري القريبة من مدينة أربيل، وذلك عام (١٩٨٣) م.

تنفيذ سياسة التطهير العرقي بحق الكرد في محافظة كركوك، وديالى، ونينوى، وأربيل، وطرد بما يزيد على (٧٠٠٠٠) مواطن كردي من أماكن سكناهم الأصلية وإسكان العرب محلهم، وذلك منذ عام (١٩٦٣) م وحتى اليوم.

كما ومنذ عام (١٩٩١) وأمام مرأى ومسمع منظمات الأمم المتحدة العاملة في كردستان، طرد النظام أكثر من (١٠٠٠٠٠) مواطن كردي وذلك من المناطق الكردستانية الخاضعة لسيطرته إلى المناطق المحررة من كردستان، وجرى ترحيل عشرات الآلاف من الكرد إلى المناطق الوسطى والجنوبية من العراق. وبموازاة هذه العملية تمارس أجهزة النظام القمعية وباستمرار الضغوط على الكرد الساكنين تحت سيطرتها وذلك بهدف إجبارهم على تغيير هويتهم القومية من الكردية إلى العربية.

قصص من مأساة حلبجة

روى أحد الناجين من هذه الجريمة قائلاً:

لقد غض المجتمع الدولي الطرف عما جرى في حلبجة؛ لأن صدام كان آنذاك يحارب إيران، ولكنه اليوم وبعدما أدى ونفذ ما طلب منه من قبل أسياده الإنكليز والأميركيين والصهاينة نراهماليوم يستغلون معاناة الناس في هذه المدينة ويتجاوزون بماسيهم في سبيل تأليب الرأي العام ضد نظام صدام.

ويضيف -الراوي- : لقد نجوت من القصف بالغاز بأعجوبة فعندما هاجمت الطائرات العراقية المدينة وذلك في يوم (١٦ آذار ١٩٨٨م) وقد كانت مدينة حلبجة ترخر بالحياة والحركة، آتذكر هدير الطائرات التي أقت قنابل الموت، والقصف الذي نفذ آنذاك أسفى عن مقتل ما لا يقل عن خمسة آلاف مدني على الفور، غالبيتهم من الأطفال والنساء. ودفن عدد كبير منهم في مقابر جماعية حول التلال المطلة على المدينة بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية.

ويقول: رأيت مشاهد لن أنساها طوال العمر، فقد بدأ القصف بصوت قوي غريب لا يشبه بشيء انفجار القنابل، ثم دخل أحدهم إلى منزلنا صارخاً: الغاز، الغاز، وقد صعدنا في السيارة على عجل وأغلقنا نوافذها، واعتقد أن السيارة سارت على الجثث الأبراء، وكان بعض الأشخاص يتلقون سائلاً أخضر اللون وبشرتهم تميل إلى السوداد وتصبح متورمة، في حين أن آخرين أصيروا بهستيريا وراحوا يقهقرون قبل أن يسقطون من دون روح، ثم شمت رائحة تفاح وفقدت الوعي. وعندما استيقظت، كانت الجثث منتاثرة حولي بالمنزل (١).

٦- تخريب البيئة الكردستانية عن طريق: تدمير (٤٥٠٠) قرية ومدينة، بما فيها الآلاف من المساجد والكنائس والمعابد واستعمال الأسلحة الكيميائية في (٧٥) موقع من أنحاء كردستان، وطرد وتججير عدد هائل من عيون الماء العذب، وزرع الملايين من الألغام تحت سطح الأرض في أنحاء كردستان، وذلك خلال السنوات (١٩٧٨-١٩٨٨م).

٧- اغتصاب النساء الكرديات في السجون أو في أثناء العمليات العسكرية إزاء سكان القرى الآمنين، حيث أن في سنة (١٩٩١م) في أثناء الانتفاضة وقعت في يد الأحزاب الكردستانية آلاف الوثائق التي تبين بأنه كان هناك الآلاف من عناصر الأجهزة الأمنية العراقية كانت وظيفتهم عبارة عن (مغتصب) ولدى منظمة (ميدل ايست ووج) ومنظمات إنسانية عالمية أخرى منات من هذه الوثائق.

٨- تدمير البيئة في الجنوب، وذلك عن طريق ردم وتجفيف مساحات شاسعة من أنهار الجنوب تقدر بـ بعدة آلاف من الكيلومترات المربعة، وذلك لغرض قتل الحياة فيها وإجبار المعارضة في الجنوب للابتعاد عن تلك المناطق. انتهى.

علمًا بأن ما فعله النظام في الجنوب العراقي من القتل والتشريد لا يقل مأساةً مما ارتكبه في المناطق الكردية، ولكن لم تكن لها تخطية إعلامية لت-bin للعالم عمّق المأساة.

٩- ذكر الخبراء أن الطيران العراقي أمرر حلبجة بخليط من العناصر الكيميائية تتضمن الغاز المسيل للدموع المكثف وغاز الخردل وعنصر (في اكس) المتفجر للأعصاب، وكان العراق قد زود آنذاك بالأسلحة الكيماوية من جانب الدول الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وألمانيا.

وقد سببت هذه المأساة الكثير من التأثيرات الجانبية للغاز، وظهر العديد من الأمراض التي تفتتك بأهالي مدينة حلبجة حتى الآن وهذه الأمراض هي: التشوه المنغولي، الربو، الإجهاض، ولادة الأجنة الميتة، أمراض الجلد والرئتين المزمنة، سرطان الدم، التشوهات في الحلق.

رواية أخرى للمأساة

وفي رواية أخرى لما جرى في حلبجة يقول الراوي:

في الساعات المتأخرة من صباح يوم (١٦ آذار ١٩٨٨م)، ظهرت طوافة تابعة لسلاح الجو العراقي فوق مدينة حلبجة، كانت الحرب الإيرانية - العراقية في سنتها الثامنة وكانت حلبجة على مقرية من خطوط الجبهة. ويسكنها قرابة ثمانين ألف كردي تعودوا العيش على مقرية من العنف في حياتهم اليومية، وكغيرها من معظم مناطق كردستان العراق، كانت حلبجة في ثورة دائمة ضد نظام صدام، وكان سكانها من مؤيدي (اليشمرجا)، وهم المقاتلون الأكراد الذين كان يعني اسمهم: أولئك الذين يواجهون الموت.

وعند حوالي الساعة العاشرة، وربما أقرب إلى العاشرة والنصف، شوهدت طوافة تابعة لسلاح الجو العراقي، غير أن الطوافة لم تكن تهاجم، كان على متنه رجال يأخذون صوراً، كان مع أحدهم آلة تصوير عادية وكان آخر يحمل ما كان يبدو أنها آلة تصوير فيديو، دنووا منا كثيراً، ثم ابتعدوا. كان المشهد غريباً؟!

بدأ القصف قبل الحادية عشرة بقليل، أطلق الجيش العراقي المتمرد على الطريق التي تصل بلدة سيد صديق، القذائف المدفعية على حلبجة وبذلت القوة الجوية إلقاء ما كان يعتقد بأنه قنابل النابالم على المدينة، وعلى الأخص على المنطقة الشمالية، ركضنا إلى القبو، واحتربنا فيه.

انحرس الهجوم حوالي الثانية بعد الظهر، وصعدنا السلالم بكل تأنٍ باتجاه مطبخ البيت الذي كنا فيه لحمل الطعام إلى العائلة، وعند توقف القصف، تغير الصوت، لم يكن قوياً، كان أشبه بقطع معدنية تتتساقط دون أن تنفجر، لم نعرف سبب هذا السكون.

جمعنا الطعام بسرعة لكن لاحظنا مجموعة من الروائح الغربية أتت بها الريح إلى داخل المنزل، في البداية، كانت الرائحة كريهة مثل رائحة النفايات، ثم تحولت إلى رائحة طيبة، مثل التفاح المحلي، ثم مثل البيض، أقيمت نظرة على طير حجل داخل قفص في المنزل، كان الطائر يموت وقد استلقى جانباً، نظرت خارج النافذة: كان كل شيء هادئاً، لكن الحيوانات - الخراف والماعز - كانت تنفق، ركضت إلى القبو قلت للجميع: إن ثمة شيئاً غير طبيعي.

تملك الذعر الأفراد الموجودين في القبو، لقد هربوا إلى الطابق السفلي للنجاة من القصف، وكان من الصعب عليهم مغادرة الملجأ، كانت خيوط من النور تدخل إلى الطوابق السفلية من المنازل، لكن الظلام كان يعطي شعوراً غريباً بالراحة، لقد أردنا البقاء مختبئين حتى عندما بدأنا نشعر بالمرض، لقد شعرت بألم في عيني كغز الإبر، دنت شقيقتي من وجهي وقالت: عيناك كثيرة الاحمرار، ثم بدأ الأطفال بالتنقي، واستمروا على التنقي. لقد كانوا يشعرون بألم كبير ويبيكون بشدة، كانوا يبيكون طوال الوقت، وكانت أمي تبكي ثم بدأ المسنون بالتنقي.

وتشير دراسة بريطانية أجريت إلى أن حالات التشوه الخلقي هذه في كردستان العراق تفوق بمعدل خمس مرات المعدلات المعهودة في مناطق أخرى. ويؤكد الأطباء المحليون أن عدد الإصابة بالأمراض الوراثية في إزدياد. وقد تراجع عدد سكان حلبجة اليوم كثيراً مقارنة مع ما كان عليه قبل العام (١٩٨٨). كما هو مرشح لمزيد من التراجع أيضاً.

لقد أقيمت الأسلحة الكيماوية على حلبجة من قبل السلاح الجوي العراقي، الذي أدرك إن أي ملجأ تحت الأرض سوف يصبح شبهاً بغرفة غاز.

عرفنا أن في الجو مواد كيماوية، أصبتت أعيننا بالاحمرار، كما إن السوائل كانت تخرج من أعين البعض، لقد قررنا الركض. توجهت وأقاربى إلى الخارج بحذر شديد، وأنذر أنى رأيت بقرتنا مستلقية على جانبها، كانت تنفس بسرعة كبيرة، كما لو أنها كانت ترکض، كانت الأوراق تتتساقط من الأشجار مع أنه كان فصل الربيع، لقد مات طير الحجل، كانت هناك سحب من الدخان تصل إلى الأرض وكان الغاز أثقل من الهواء، وكان يدخل إلى الآبار وينزل فيها.

رأت العائلة اتجاه الريح وقررت الركض في الاتجاه المعاكس، كانت هناك صعوبة في الركض، لم يتمكن الأطفال من الركض؛ لأنهم كانوا يعانون من شدة المرض وكانوا منهوكين القوى من التقيؤ فحملناهم على أذر عنا.

أما في المدينة، كانت العائلات الأخرى تتخذ نفس القرارات، لقد قرر بعضهم التوجه مع عائلته إلى عناب، وهو مخيم في ضواحي حلبة يضم الأكراد الذين هجروا عندما دمر الجيش العراقي قراهم، وعلى الطريق إلى عناب، بدأ العديد من النساء والأطفال يقضون نحبهم؛ فقد كانت السحب الكيماوية تعطي الأرض، كانت ثقيلة وكنا نراها. وكان الناس يموتون من حولنا، وعندما كان طفل ما يعجز عن السير، كانت الهستيريا تتملك أهله من الخوف، فيتركونه خلفهم. لقد ترك العديد من الأطفال على الأرض، إلى جانب الطريق، وهكذا الحال بالنسبة للمسنين أيضاً، كانوا يركضون ثم يتوقفون عن التنفس ويقضون.

كنا نريد الاغتسال أولاً وإيجاد ماء للشرب، وكنا نريد غسل وجوه الأطفال الذين كانوا يتقيؤون وكانوا يبكون بشدة ويطلبون بالماء، وكانت هناك بودرة بيضاء على الأرض، لم نكن نستطيع أن نقرر بالنسبة لشرب الماء أو عدمه، لكن بعض الأفراد شربوا من ماء البنر لشدة عطشهم.

اما القصف فقد كان متواصلاً بشكل متقطع بينما طائرات السلاح الجوي تحلق بشكل دايري من فوق، كانت تظهر على الناس عوارض مختلفة، لمس أحد الأشخاص البويرة، فبدأت تبز على جده ففقيع.

وصلت إلى المكان شاحنة يقودها أحد الجيران، لقد رمى الناس أنفسهم فيها، وشاهدنا أناساً ممددين متجمدين على الأرض، كان هناك طفل رضيع على الأرض بعيداً عن أمه، ظننت أنها نائماً، لكن يبدو أن هذه الأخيرة رمتها أرضاً ثم ماتت، وأظن أن الطفل حاول الزحف لكنه مات هو أيضاً، لقد بدا كأنهم جميعاً نيام.

وبيّنما كانت سحب الغاز تغطي المدينة، كان الناس يشعرون بالمرض والضياع. أحد الأشخاص علق في قبوه مع عائلته؛ قال: إن أخاه بدأ يضحك بشكل هستيري ثم خلع ثيابه، وبعدها بقليل مات، مع حلول الليل، بدأ أطفال العائلة يصبحون أشد مرضًا لدرجة لم يعد بإمكانهم التحرك.

في منطقة مجاورة أخرى، كان شاب في سن العشرين، قد هالته رائحة حلوة غريبة من الكبريت، وأدرك أن عليه إجلاء عائلته؛ كان هناك حوالي مائة وستين فرداً محشورين في القبو. قال: لقد رأيت سقوط القبلة، كان ذلك على مسافة ثلاثة مترات من المنزل أغلقت الباب المؤدي إلى القبو، سمعت أصوات صراخ وبكاء في القبو، وأصبح الناس يجدون صعوبة في التنفس، شوهد أحد الذين أصابهم الغاز وكان ثمة شئ يخرج من عينيه، كان شديد العطش ويطلب بالماء. أما الآخرون في الطابق السفلي من المنزل بدوا يشكون من الارتجاف.

ويقول: كان يوم السادس عشر من آذار يوم عقد قران أحد الشبان. وكانت كل الاستعدادات قد تمت. كانت عروسه بين أول الذين قضوا في القبو، يتذكر عريسها أنها كانت تبكي بشدة، حاولت تهدئتها، قلت لها: إن الأمر هو مجرد قصف مدفعي، لكن راحتته غير الراحنة العادمة للأسلحة، كانت ذكية وتعرف ما الذي يجري. لقد ماتت على السلم، حاول والدها مساعدتها لكن كان قد فات الأوان.

وطال الموت بسرعة أنساً آخرين، حاولت امرأة إنقاذ ابنتها ذات العامين بارضاعها معتقدة أن الطفلة لن تنفس الغاز وهي ترضع، لقد رضعت مدة طويلة، وماتت أمها وهي ترضع، لكنها ظلت ترضع. وكان معظم الناس الموجودين في الطابق السفلي من المنزل قد فقدوا الوعي؛ العديد منهم قد مات.

قصة أخرى

وهذه قصة أخرى يرويها أحد الأخوة الأكراد يبين فيها واحدة من المآسي التي جرت عليهم من نظام الطاغية فيقول:

في الحقيقة عندما يتم الحديث عن جرائم النظام العراقي وانتهاكات حقوق الإنسان في العراق، لا يمكن الإحاطة بهذه الجرائم بكمالها، ولكنني سأتحدث بشيء من التفصيل حول إحدى الجرائم، كوني عشت حياة عشرات الآلاف أثناء الترحيل، وأثناء استخدام السلاح الكيميائي من قبل النظام الجائر ضد المدنيين الأكراد، وهي من الجرائم البشعة التي تعرض لها شعبنا الكردي، وهي من أبغض الصور في انتهاك حقوق الإنسان ارتكبت ضد شعب آمن لم يرتكب جرماً.

فاستخدام السلاح الكيميائي له وقع نفسي كبير على الناس، ومجرد ذكر هذا السلاح أمامهم يثير فيهم الفزع والحزن العميق، فالتأثير كان كبيراً، وفعلاً في يوم (١٩٨٨/٨/٢٤) - أي بعد الإعلان الرسمي لنهاية الحرب بستة عشر يوماً - جاءت الأخبار عن وجود نية لهجوم كاسح، السلاح الأول فيه هو السلاح الكيميائي.

إن الليالي من (١٩٨٨/٨/٢٤ ولغاية ١٩٨٨/٨/٢٨) كانت قمة خوف وفزع ومساة الجماهير، وكانت ليلة (١٩٨٨/٨/٢٧) من أحرج الليالي، وكان العبور محدد بمناطق لايمكن العبور من غيرها، وهي مناطق محفوفة بالمخاطر، فالطريق الذي كان يعبرون منه لم يكن مستوياً، وقد عبر من واحدة من هذه المناطق أكثر من (١٣ ألف) كردي، ولم يستطع كل المتواجدين في تلك المنطقة أن يعبروا، لأن الوقت لم يسعهم فكان عليهم أن يتراجعوا ويعوّلهم المتيبة الخانرة القوى مع المرضى وحيواناتهم وكل ما يملكون، فاضطروا في اليوم التالي إلى التسلیم لقوات الحكومة التي كانت تحاصرهم في يوم (١٩٨٨/٨/٢٨).

والحديث عن المأساة التي حصلت في منطقة كلي بازي، وكلي بازي هي قرية في البرواري، للذين لم يستطيعوا العبور إلى مناطق أكثر أمناً، حيث تم حصارهم وبعدما رفضوا الاستسلام لقوات النظام تم قتلهم جميعاً، وفي قرية أخرى قتل (٤٨) رجلاً بعد أن تمت محاصرتهم ولم يسلموا أنفسهم، وفي قرية زيه، القرية من بامريني أيضاً تمت محاصرتها والكثير من سكانها الآن في عدد المفقودين لا يعرف عنهم شيء حتى بلغ عددهم المئات ولا يعرف لهم مصير، وبهذه الطريقة صفي هؤلاء الناس.

الممارسة الأخرى التي هي بشعة أيضاً: تعامل أجهزة السلطة مع ممتلكات الناس، فقد كانوا يحرقون كل شيء يجدونه في طريقهم، البيوت بكمالها وصوّلأ لليسان نفسه.

هذا بعض معاناة الأكراد في العراق، أما من اضطر و هرب إلى تركيا فهناك المعاناة لاتقل مرارة، فواحدة من مناطق المجمعات مجمع ماردين الذي يسمى بالمجمع الرهيب، وهو فعلاً مجمع رهيب وفي هذا المجمع يعيش مايزيد على (١٦) ألف مواطن عراقي كردي في ظروف صعبة جداً، تتضمن أشكال من المعاناة والألام، والتهديد بالتسليم للسلطات العراقية بالقوة، والمحاولات بجرهم لقرارات العفو المزعوم من قبل النظام، هذه القرارات التي يعرفها الجميع بأنها زائفه.

شيعة الأكراد

وهذه صورة من المعاناة التي كانت تعانيها طائفه أخرى من طوائف الشعب العراقي، لا وهي معاناة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) من الأكراد، حيث تم اعتقالهم وسجنهم وتعذيبهم وتهجيرهم وقتلهم، فصار النظام يطاردهم لأنهم شيعة ولأنهم أكراد.

فطرد أكثر من (٣٠٠٠٠) مواطن كردي فيلي - الشيعة - إلى إيران وحجز أموالهم المنقوله وغير المنقوله وحجز نحو (١٠٠٠) شاب كردي فيلي كرهان، وذلك خلال سنوات (١٩٧٠-١٩٨٢). إلى غيرها من الإحصاءات المذكورة.

يروي أحدهم هذه المعاناة ويقول:

كثيراً ما يدور في خاطر المرء ويسجل ذكرياته عن الأيام الجميلة التي يقضيها ليحتفظ بها للأيام اللاحقة نموذجاً، لكننا نحن الأكراد العراقيين لاتملك من تلك الذكريات شيئاً إلا الحزينة منها، لا بل الكارثية بعد أن ابتلينا بشرور وأعمال الأنظمة المختلفة التي حكمتنا وتحكمنا منذ تشكيل الدولة العراقية. خلال العقود الماضية واجهت شرائح المجتمع الكردي صنوفاً من الاضطهاد، ومسألة تهجير الأكراد الفيليين هي إحدى أشكال الاضطهاد والتمييز العنصري، ودليل على الترابط المصيري لمعاناة هذه الشريحة مع واقع معاناة الشعب الكردي في العراق عموماً.

فبعد الرجوع إلى الماضي القريب وتذكر جريمة التهجير والحملات الظالمة التي طالت الأكراد بعد أن أصدر ما يسمى مجلس قيادة الثورة القرار (٦٦٦ في ٤/٧/١٩٨٠) والذي سبب بإبعاد ما يزيد على (٤٠٠ ألف) كردي فيلي من ديارهم وسلب أموالهم.

فقد نكثت السلطات العراقية بوعودها - كما هي العادة - عندما زرعت بعض الأمل في نفوس آلاف البسطاء بإصدار القرار المرقم (١٨٠ في ٢/٣/١٩٨٠) الصادر عن مجلس قيادة الثورة على أساس أنه وبموجب القرار ستمنح شهادة الجنسية العراقية للأكراد الفيليين، لكنها وبدلاً من تنفيذ ذلك القرار شرعت باعتقالهم وتسفيرهم إلى إيران، وقامت السلطات بالاستيلاء على ما كانوا يمتلكونه من أموال وعقارات وأوراق ثبوتية تؤكد أصلية عراقيتهم.

ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما كانت تعانيه هذه الشريحة من المجتمع العراقي كنموذج لبعض ما جرى في تلك الليالي والأيام المشؤومة التي عاشها أبناء هذه الشريحة، وبما تحملوه من شتى أنواع الإهانات على أيدي ازلام السلطة الحاكمة في بغداد.

فقد كان أحد الشباب طالباً في السادس الأدبي، وقبل التسفيير كان يأمل في نيل الشهادة في القانون، وكان أحد أعضاء فريق كرة القدم في منطقته، وبعد صدور قرار منح الجنسية بدأ العديد من الأكراد الفيليين بتقديم طلباتهم بحسن نية لنيل شهادة الجنسية العراقية، وكان والد هذا الشاب من ضمنهم وشعروا بسعادة غامرة لهذا الأمر، فقد قال ذات مرة: لقد انهينا المعاملة وطلبوا منا (١٨) صورة شخصية لكل فرد من العائلة، لكنه وبعد مرور أكثر من شهر بدا هذا الشاب حزيناً وقال: يا ليتنا لم نقدم معاملتنا لهذه الشهادة اللعينة، ولم يكن أحد من زملائه وأعضاء الفريق يدركون مغزى حديثه، حتى جاءت الليلة الظلماء التي توقعها وسفر هذا المسكين مع عائلته المكونة من والده العليل ووالدته وأخواته السبعة.

وبما أنه كان أحد الأعضاء الأساسيين في الفريق الكروي للملحة؛ لذا فإنه كان يحتفظ بالكرة دائمًا في بيته، وبعد أيام من تسفيرهم جاءت لجنة من الحزبيين وسجلوا ما في بيته من أثاث ومحفوظات لمصادرتها وكانتها غنيمة حرب، وكانت (كرة الفريق) من ضمنها، ولما تقدم أحد أعضاء الفريق بعفوية وطلب من اللجنة إعادة الكرة إلى بقية أعضاء الفريق رد أحدهم بكل حقد قائلاً: كيف تلعب بكرة وصاحبها إيراني؟!

قصة أخرى

كان أحد الأشخاص يعمل قصاباً وكان لديه ثلاثة أطفال، وفي إحدى الليالي قام رجال الأمن بقطع التيار الكهربائي عن الحي فأصبح الجميع في ظلام دامس فاغاروا على بيت هذا المسكين ولم يمهلوهم كثيراً، بل قاموا بتسفيره فوراً، ولما كان يعمل قصاباً فقد أبقى في بيته عدداً من الخراف للذبح، وبعد أن سفروه جاءت لجنة المصادر إلى بيته فكانت فيه أربعة خراف من ضمن الأشياء المصادر، فقال أحد أعضاء اللجنة بخبث ساخرًا: حتى لو تكون الأغنام إيرانية، فنحن لا نسفر الحيوانات بل نسفر أصحابها.

هذه هي بعض تصرفات الحزب الحاكم المتسلط على رقاب شعبنا في العراق بجميع شرائحه عرباً وأكراداً وأقليات أخرى، لكن غصب الله عزوجل على هولاء الظالمين قريب جداً إن شاء الله تعالى، وسوف ينالون جزاءهم العادل، بإذن الله وقدرته، كما وعد في كتابه: ((وَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ عَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤْخَرُهُمْ لِيَوْمٌ تُنْشَّصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)) (١).

^١ - سورة إبراهيم: ٤٢.

من الأمويين إلى طغاة العراق

إن التاريخ يعيد نفسه عادةً، فبالأمس كان هناك جانب الشر والظلم والسلطة والاستبداد والسيطرة، وتقيد الأيدي، وكم الأفواه، المتمثل في حكم الأمويين، الذين استحوذوا على سدة الحكم في البلاد الإسلامية بالظلم والطغيان، أمثال معاوية بن أبي سفيان زعيمهم الذي مارس بحق من أبناء الإسلام ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعذيب والقتل والتشريد، ولكن في مقابله بُرِزَ رجالُ أحرارٍ من رحم الأمة مجاهدون مناضلين ومضحين بكل غالٍ ورخيصٍ في سبيل إعلاء كلمة «لا إله إلا الله»، ولقد تمركزت تلك الثلة الخيرة من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) في أوساط العراقيين في الكوفة والبصرة وبعض المناطق الإسلامية الأخرى.

فمارس والي معاوية على الكوفة والبصرة آذاك، وهو (زياد ابن أبيه) ^(١) بحقهم ألواناً من التعذيب والسب والقتل، حتى كثُرت العوائل التي تعرضت لظلمهم، وأصبحت تهدى مصير عرش الظالم معاوية بن أبي سفيان، فكتب زياد إلى معاوية يخبره بقرب مصيرهم الأسود، فجاءت الأوامر من البيت الأموي في الشام بتجهيز عوائل الشهداء والمجاهدين من العراق إلى خراسان لكي يتخلص منهم بابتعادهم عن مصادر القرار، ولكن النتيجة جاءت عكسية، فازداد السخط على نظامبني أمية وكثير المعارضون.

تلك كانت صورة الأمس، واليوم نلاحظ نفس الظلم السابق لا يتغير منه شيء، إن لم نقل بأنه أشد وأقوى.. فبالأمس كان الظلم يتمثل ببني أمية ومقره الشام، واليوم يتمثل بالنظام البشعي ومقره العراق.

ولكنهم اليوم نسوا أو تناسوا مصير معاوية الأسود، وبعد الحكم والسيطرة والبطش، وبعد تمعته بالقصور الفاخرة والجواري العديدة، وما إلى ذلك من وسائل البذخ، كيف أصبح مصيره الآن؟.

^١- زياد بن أبيه كما سمته عائشة وهو زياد، يقال له تارة: زياد بن أمّة، وتارة زياد بن سمية، وأخر زياد بن أبيه، استحقه معاوية فقيل له: زياد بن أبي سفيان، وكان يقال له: أبو المغيرة، لحق بمعاوية، بعدما كتب له كتاباً يستعطفه منه وقد قال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان شرعاً أغضب معاوية فقال:

الا أبلغ معاوية بن حرب***لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أغضب أن يقال: أبوك عف***وترضى أن يقال: أبوك زان
فأشهد أن رحmk من زياد***مكرح الفيل من ولد الآتان
وأشهد أنها حملت زياداً***وصخراً من سمية غير دان

قال ابن شحنه الحنفي: في سنة (٤، هـ) استلتحق معاوية زياداً وأثبتت نسبة من أبي سفيان بشهادة أبي مریم الخمار أنه زنى بسمية البغي وحملت منه، وكان زياد ثابت النسب من عبد الرومي، وشق ذلك علىبني أمية، ولاه معاوية البصرة والكوفة وخراسان وسمنان والهند والبحرين وعمان، وظلم وفجر وقويت به شوكة معاوية، وكان معاوية وعماله يسبون علياً (عليه السلام) على المنابر، وكان من عادة حجر ابن عدي إذا سبوا علياً عارضهم وأنقذوا عليه، فعل كذلك في إمرة زياد للكوفة فأمسكه وأرسل به مع جماعة من أصحابه إلى معاوية فأمر بقتله وثمانية من جماعته فقتلوا بقرية مرج عذراء قرب دمشق، وعظم ذلك على المسلمين، انتهت.

وكان زياداً هذا يتبع الشيعة وهو بهم عارف، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسلم العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم.

خلف زياد ابن أبيه ابنه عبد الله بن مرجانة الذي كان ولياً على الكوفة وما جرى منه على الإمام الحسين (عليهم السلام) وأهل بيته وشيعته أشهر من أن يذكر. انظر الكني والألقاب: ج ١ ص ٣٠ (ابن زياد).

فإذا ذكر معاوية ذكرت جميع الرذائل والصفات السيئة، أما إذا ذكر الجانب المقابل له، أي المعارض لحكم معاوية، من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأصحابه من أمثال حجر بن عدي، وميثم التمار، ومالك الأشتر، وسلمان الفارسي، ومحمد بن أبي بكر (رضوان الله عليهم) - وغيرهم كثيرون - ذكرت معهم الصفات الحميدة التي كانوا يتمتعون بها، والذي استلهموها من سيد الوصيين وقائد الغر المجلين، علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهم أصبحوا مدرسة الخير والصلاح للأجيال يقتدى بها إلى يومنا هذا، فعلى طاعة العراق الاستفادة من هذا الدرس التاريخي، والاعتبار بمن كان قبلهم قبل فوات الوقت، إذا كانوا يملكون ذرة من الإنسانية، ولو أن هذا بعيد على نظامهم، الذي افتر ما افتر من الآثم والمعاصي، التي سودت صفحاتهم، ولم تبق لهم عودة إلى الخير.

إذن، من اللازم على كافة المسلمين في العالم أن يساندوا إخوانهم في العراق قولاً وفعلاً، وعلى العراقيين المجاهدين في داخل العراق وخارجها، وخصوصاً المهجّرين منهم، أن يعملوا يداً واحدة، ويديموا روادّ الجهاد حتى إسقاط هذا النظام الجائر وذلك بعد نشر الوعي وذلك بعد نشر الوعي والثقافة بين صفوف الأمة.

«اللهم إنا نرحب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاء إلى طاعتك، والقاده إلى سبيلك، وترزقنا فيها كرامة الدنيا والآخرة».

من هدي القرآن الحكيم

بـث روح الأخوة

قال تبارك وتعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَرْفَعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَلَمَّا بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَقَّا حُرْفَةٍ مِّنَ الثَّارِ فَأَنْقَدْتُمْ مِّنْهَا كُلَّكُمْ بِيَمِّنِ اللَّهِ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهُتَّدُونَ)) (١).

وقال سبحانه: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قومٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَتَبَرَّوْا بِالْأَقْبَابِ يَسْأَلُونَكُمْ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) (٢).

قال جل وعلا: ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودٌ)) (٣).

قال سبحانه: ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحٌ)) (٤).

قال عزوجل: ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبٌ)) (٥).

١- سورة آل عمران: ١٠٣.

٢- سورة الحجرات: ١٠-١١.

٣- سورة الأعراف: ٦٥.

٤- سورة الأعراف: ٧٣.

٥- سورة الأعراف: ٨٥.

قال الله تعالى: ((إِنَّ الْمُنَّقِّيْنَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوَنَ * ادْخُلُوهَا بِسْلَامٍ آمِنِيْنَ * وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلَّٰ
إِخْوَانًا عَلَى سُرُّ مُتَقَابِلِيْنَ * لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُحْرَجِيْنَ * تَبَّئِ عِبَادِي أَلَّا أَنَا الْفَقُوْرُ
الرَّحِيمُ)) ^(١).

الهجرة والتهجير

قال تعالى: ((وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنَبْوَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَالْأَجْرُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُوْنَ * الَّذِيْنَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) ^(٢).

قال سبحانه: ((وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ فَتَلَوْا أَوْ مَاثَوْ لِيَرْزُقَهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنَا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِيْنَ * لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضُوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَغَلِيمٌ حَلِيمٌ)) ^(٣).

قال جل وعلا: ((وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا
إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ عَفُورًا رَحِيمًا)) ^(٤).

قال عزوجل: ((لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِيْنَ الَّذِيْنَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرَضْوَانًا
وَيَنْصُرُوْنَ اللهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ)) ^(٥).

حرمة الركون إلى الظالمين وإعانتهم

قال عزوجل: ((وَلَا ترْكُنُوا إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونَ اللهِ مِنْ أُولَئِيْءِ ثُمَّ لَا تُشَرِّعُوْنَ)) ^(٦).

قال تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُوْنَ مَوْفُوْفُوْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْفَوْلَ يَقُولُ الَّذِيْنَ اسْتُضْعَفُوا
لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّمِنْ لَكُمْ مُؤْمِنِيْنَ)) ^(٧).

قال سبحانه: ((وَكَذَلِكَ تُؤْلِي بَعْضَ الظَّالِمِيْنَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُوْنَ)) ^(٨).

قال جل وعلا: ((قَالَ رَبٌّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِيْنَ)) ^(٩).

١- سورة الحجر: ٤٥-٤٩.

٢- سورة النحل: ٤١.

٣- سورة الحج: ٥٩.

٤- سورة النساء: ١٠٠.

٥- سورة الحشر: ٨.

٦- سورة هود: ١١٣.

٧- سورة سبأ: ٣١.

٨- سورة الأنعام: ١٢٩.

٩- سورة القصص: ١٧.

الظالم والمظلوم

قال عزوجل: ((وَيَوْمٌ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)) (١).

قال سبحانه: ((وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٍ)) (٤٢).

قال تعالى: ((لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقُولِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ)) (٣).

قال جل وعلا: ((وَمَنْ فَتَنَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَ لِوَالِيَّهِ سُلْطَانًا)) (٤).

من هدى السنة المطهرة

المigration et le changement

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا...»^(٥).

وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «تَهَادُوا تَزَدَادُوا حَبًّا وَهَاجَرُوا تُورَثُوا أَبْنَانَكُمْ مَجْدًا...» (٦).

وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «مَنْ فَرَّ بَدِينَهُ مِنْ أَرْضِ إِلَى أَرْضٍ وَإِنْ كَانَ شَبِيرًاً مِنَ الْأَرْضِ اسْتَوْجِبُ الْجَنَّةَ وَكَانَ رَفِيقُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا وَسَلَّمَ» (١).

وفي قوله تعالى: ((يا عباديَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضيَ واسِعَةٌ)) (١) قال أبو عبد الله (عليه السلام): «معناه إذا عصى الله في، أرض أنت فيها فاخر ج منها إلى غيرها» (٢).

وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «إِذَا أَعْسَرَ أَحَدَكُمْ فَلْيَضْرِبْ فِي الْأَرْضِ يَتَبَغِي مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلْ تَفْسِير» (١)

وقال سوا الله اصوات الله عليه وآله: «ساف ما تصحه اه حاهه اه تقدمه اه حجه اه تستقه اه» (١١)

١- سورة الفرقان: ٢٧

٢- سورة الشورى

١٤٨ - سورة النساء

٣٣ - سهیة الاصناف

٥- نهج الفصاحة: ص ١٦٢

١١٩ - ٢٣٩ - زاد القدرات

١٩٧ / الأعداد : ٢٠١٥

٦٣١ ملخص المذكرة

٩ - جل الائمه

١٥٦ - ملخص المقالات - جلد ٢٠١٩

١١ - مسائل الشهادة - ج ٢ - ج ٣ - ج ٤ - ج ٥

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق»^(١).
وسئل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): أي الهجرة أفضل؟ قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «من هجر السينات»^(٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يقول أحدهم إنما الغريب الذي يكون في بلاد الشرك»^(٣).
وسئل أبو عبد الله (عليه السلام): عن الكبائر؟ قال (عليه السلام): «أكبر الكبائر الشرك وعقوق الوالدين والتعرّب بعد الهجرة...»^(٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «ليس من المروءة أن يحدث الرجل بما يلقى في سفره من خير أو شر»^(٥).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: من سافر وحده، ومنع رفده، وضرب عبده»^(٦).

جزاء الظالمين

قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «يقول الله عزوجل أشدت غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»^(٧).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ظلم عباد الله كان الله خصمته دون عباده»^(٨).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من ارتكب أحداً بظلم بعث الله عزوجل من يظلمه بمثله أو على ولده أو على عقبه من بعده»^(٩).

بث روح الأخوة

قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه وإن يك

^١. من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٦ باب المعاملات والمكافئات ح ٣٥٧١.

^٢. مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٢٧٧ ب ٢٣ ح ١٣٠٠١.

^٣. وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٠١ ب ٣٦ ح ٢٠٠٦٩.

^٤. الخصال: ج ٢ ص ١١٤ باب الثمانية ضمن ح ١٥٠.

^٥. مكارم الأخلاق: ص ٢٥٣ الباب ٩ الفصل ٤.

^٦. وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٠٩ ب ٣٠ ح ١٥١٢٦.

^٧. بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١١ ب ٧٩ ح ١٢.

^٨. غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٦ ق ٦ ب ٥ ف ١ ح ١٠٤٠١.

^٩. بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣١٣ ب ٧٩ ح ٢٣.

مظلوماً فانصره»^(١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر، وسوء الصمائـر فلا توازرون ولا تناصـون ولا تبـاذـلون ولا توادـون»^(٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق، فلا يسمعـنـ فيـهـ أقوـيلـ الرـجـالـ،ـ أماـ إـنـهـ قدـ يـرمـيـ الرـاميـ،ـ وـتـخـطـيـءـ السـهـامـ وـيـحـيلـ»^(٣) الكلام»^(٤).

وعن أبيان بن تغلب قال: كنت أطوف مع أبي عبد الله (عليه السلام) فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألهـ الـذـهـابـ مـعـهـ فـيـ حـاجـةـ فـأـشـارـ إـلـيـ،ـ فـكـرـهـ أـدـعـ أـبـاـ عبدـ اللهـ (عليـهـ السـلامـ)ـ وـأـذـهـبـ إـلـيـهـ،ـ فـبـيـنـاـ أـنـاـ أـطـوـفـ إـذـ أـشـارـ إـلـيـ أـيـضـاـ فـرـأـهـ أـبـوـ عبدـ اللهـ (عليـهـ السـلامـ)ـ فـقـالـ:ـ «ـيـاـ أـبـاـ إـيـاكـ يـرـيدـ هـذـاـ؟ـ»ـ قـلـتـ:ـ نـعـمـ -ـ إـلـىـ أـنـ قـالـ -ـ قـالـ:ـ «ـفـاذـهـبـ إـلـيـهـ»ـ قـلـتـ:ـ فـاقـطـ الطـوـافـ؟ـ قـالـ:ـ «ـنـعـمـ»ـ قـلـتـ:ـ وـإـنـ كـانـ طـوـافـ الفـريـضـةـ،ـ قـالـ:ـ «ـنـعـمـ»ـ قـالـ:ـ فـذـهـبـتـ مـعـهـ...ـ»^(٥).

جزاء إعـانـةـ الـظـالـمـينـ

قال رسول الله (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـيـهـ): «إـذـ كـانـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ نـادـيـ مـنـاـ لـأـيـنـ الـظـلـمـةـ وـأـعـوـانـهـ،ـ مـنـ لـاقـ لـهـ دـوـاـةـ،ـ أـوـ رـبـطـ لـهـ كـيـساـ،ـ أـوـ مـدـ لـهـ مـدـةـ قـلـمـ،ـ فـاحـشـرـوـهـمـ مـعـهـ»^(٦).

وقال أبو جعفر (عليه السلام) - في حديث -: «... فإذا ظهر إمام عدل فمن رضي بحكمه وأعانه على عدله فهو وليه، وإذا ظهر إمام جور فمن رضي بحكمه وأعانه على جوره فهو وليه»^(٧).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: لا تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم»^(٨).

وقال (عليه السلام): «من أعاـنـ ظـالـمـاـ عـلـىـ مـظـلـومـ لـمـ يـزـلـ اللهـ عـزـوجـلـ عـلـيـهـ سـاخـطاـ حـتـىـ يـنـزـعـ عـنـ مـعـونـتـهـ»^(٩).

١- نهج الفصاحة: ص ١١١ ح ٥٦١.

٢- نهج البلاغة، الخطب: ١١٣ من خطبة له في ذم الدنيا.

٣- يحيل: يتغير عن وجه الحق.

٤- نهج البلاغة، الخطب: ١٤١ من كلام له (عليه السلام) في النهي عن سماع الغيبة.

٥- الكافي: ج ٢ ص ١٧١ كتاب الإيمان والكفر ب ٨ ح ٨.

٦- بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٧٢ ب ٨٢ ح ١٧.

٧- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ١٠٨ ب ٨٠ ح ١٣٦٥٠.

٨- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ١٠٩ ب ٨٠ ح ١٣٦٥١.

٩- وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٥٧ ب ٨٠ ح ٢٠٩٦٩.

الظالم والمظلوم

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم»^(١).
 وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله تعالى عليه من يظلمه، فإن دعاء لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»^(٢).
 وعن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه (عليهما السلام) قال: «ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»^(٣).

قم المقدسة

محمد الشيرازي

^١- نهج البلاغة: الحكم ٢٤١.

^٢- ثواب الأعمال: ص ٢٧٣ باب عقاب من ظلم.

^٣- ثواب الأعمال: ص ٢٧٢ باب عقاب من ظلم.